الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حمة لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

شخصية البطل في السيرة الشعبية "سيف بن ذي يزن نموذجا" -مقاربة سيميائية -

مذكرة مكمّلة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبة:

– فروي صليحة

إشراف الدكتور :

– أحمد زغب

الموسم الجامعي: 2015/2014 م / 1436/1435هـ

شكر وامتنان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل .

يسعدني أن أتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور أحمد زغب لتكرمه بالإشراف على مذكرتي وصبره وتوجيهه ونصائحه القيمة في كل خطوة من خطوات الدراسة .

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي المحترمين في معهد الآداب واللغات على كل مساعدة قدمت لي خلال مشوار الدراسي .

- إلى كل عمال مكتبة دار الثقافة وزاوية سيدي سالم .

- إلى كل من قدم لي يد المساعدة على إتمام هذا العمل

- إلى كل من كان لهم فضل دعم وعون قل أو كثر ونسيت ذكر أسمائهم في هذا المقام راجية منهم أن يعذروني .

مقدمة

الأدب الشعبي هو الوعاء الذي يعبر فيه الشعب عن خلجاته النفسية، واهتماماته الروحية، فمنذ أن ظهر الإنسان على وجه الأرض وجد في نفسه حاجة ملحة ليعبر بها عما يجول في نفسه من مشاعر ورغبات وأحلام ، فأبدع للوجود أشعارا وقصصا وأساطير ...

وتعتبر السير الشعبية واحدة من أهم الفنون الأدبية التعبيرية ذات القيمة العظيمة فهي تراث حافل بدلائل التجربة ومعالم التاريخ، وهي الصورة الواضحة للإنسانية في حقيقتها الأصلية وطبيعتها الفطرية ومراحلها الزمنية وقد ظل الناس يتناقلونها شفاهيا ويروونها ويبثون فيها ما يختلج في صدورهم من نقمة على الظلم والفساد وقسوة الغزاة، وينثرون فيها قيمهم وحكمتهم وبطولاتهم التي حققها الأبطال .وينطلق هذا البحث الذي نحن بصدد خوض غماره في إطار الدراسات النقدية التي تجعل من الشخصية الحكائية بؤرة الاهتمام، ولأن الدعامة الأساسية التي تقوم عليها السيرة الشعبية هو شخصية البطل باعتباره الشخصية المحورية التي تدور حولها أحداث السيرة ،والبطل هو الصورة المثالية للإنسان الكامل يحاول المبدع الشعبي من خلاله رسم صورة مثلى لقيم المجتمع ومبادئه وملامح مستقبله وأحلامه التي لم تتحقق في أرض الواقع. آثرت من خلال ذلك أن أطرح موضوع مذكرتي تحت العنوان الآتي : شخصية البطل في السيرة الشعبية، سيف بن ذي يزن نموذجا، مقاربة سيميائية. وكان اختياري لهذا الموضوع للأسباب الآتية :

- التعرف على القيمة الثقافية والأدبية التي تحظى بها هذه السيرة .
- دراسة الشخصية باعتبارها أهم مكون سردي تقوم عليه السيرة .
- قليلة هي الدراسات الأكاديمية التي تناولت شخصية البطل سيف بن ذي يزن بالدراسة والتحليل خاصة من الوجهة التي تبنيناها في هذا البحث .
- الرغبة الملحة في مد جسور التواصل بين التراث المتمثل هنا في جنس السيرة الشعبية والحداثة من خلال النظريات والمناهج النقدية الحديثة .
- التعرف على شخصية البطل سيف بن ذي يزن من الناحية التاريخية و السمات البطولية التي رسمها المخيال الشعبي حول شخصيته في السيرة.

- أما فيما يخص الإشكاليات التي سيحاول هذا البحث الإجابة عنها فيمكن تقسيمها إلى قسمين : رئيسية وفرعية فالإشكالية الرئيسية أثرنا أن تكون على الشكل الآتي :

كيف صورت المخيلة الشعبية شخصية البطل سيف بن ذي يزن ومراحل حياته في السيرة الشعبية؟ وماهي المعاني التي أنتجها الوعي الجمعي حول شخصيته ؟

أما عن الإشكاليات الفرعية فهي مجموعة من الأسئلة التي تتفرع تلقائيا عن الإشكالية الرئيسية وهذه الأسئلة هي :

- هل نستطيع أن نقدم مفهوما عاما لجنس السيرة الشعبية في ظل ذلك التداخل بين مختلف مفاهيم الأجناس الأدبية الشعبية الأخرى ؟
- من هو سيف بن ذي يزن تاريخيا؟ وكيف رسم المبدع الشعبي شخصيته ومراحل حياته في السيرة ؟
- ما هي الصفات الجسدية والمعنوية التي وصف بها البطل ؟وما هي المقومات التي كان لها دور ايجابي في تحقيق بطولته ؟

وللإجابة على هذه الإشكاليات اتبعت خطة بحثية سعيت من خلالها إلى الإحاطة بجوانب الموضوع حيث قسمت الدارسة إلى مقدمة وفصل نظري وآخر تطبيقي وخاتمة ومدونة .

فالمقدمة عبارة عن لمحة عامة عن الموضوع أما الفصل النظري (الأول) الذي يحمل عنوان في المباني والمفاهيم الدلالية للشخصية والبطل والسيرة الشعبية والذي تناولت فيه مفهوم الشخصية من خلال دلالتها اللغوية والاصطلاحية عند علما ء النفس والاجتماع والأدب مع التطرق إلى مفهوم الشخصية الحكائية في السيميائيات السردية .ثم تعرضت لمفهوم البطل لغة واصطلاحا وصفات البطل الشعبي وأبعاده ومقوماته وتوسعت في الأخير في تحديد مفهوم السيرة الشعبية من خلال التطرق إلى المفهوم النظري والاصطلاحي ومن ثمة مقارنة جنس السيرة الشعبية بمفاهيم بعض الأجناس الأدبية الشعبية الأخرى التي تتداخل معها، لنخلص إلى ملامح عامة حول السير الشعبية.

أما الفصل التطبيقي(الثاني)والمعنون بشخصية البطل سيف بن ذي يزن في السيرة الشعبية الذي قسمته إلى ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول شخصية البطل سيف بن ذي يزن بين الواقع التاريخي و العمل الفني ثم مراحل حياة البطل سيف بن ذي يزن في السيرة الشعبية .

أما المبحث الثاني فقد درست مرحلة من مراحل حياة البطل دراسة سيميائية والمتمثلة في مرحلة حصول البطل على كتاب تاريخ النيل، الذي درست فيه وظائف بروب والنموذج العاملي والمربع السيميائي لغريماس .

وأما المبحث الثالث والأخير خصصته إلى دراسة مقومات وصفات البطل الجسدية والمعنوية في السيرة الشعبية .أما الخاتمة فقد حاولنا من خلالها بلورة وتلخيص النتائج الرئيسية المرجوة من هذا البحث وفي الأخير ملحق وهو عبارة عن مدونة لمقطع سردي من السيرة الشعبية يمثل مرحلة حصول البطل سيف بن ذي يزن على كتاب تاريخ النيل وقد اقتضت طبيعة البحث الاستعانة بعدد من المناهج ، فالمنهج التاريخي استعنت به في التعرف على الخصائص التاريخية لشخصية البطل ثم المنهج البنائي (المورفولوجي) وصفت به النظام الشكلي للمقطع السردي من خلال الوظائف المكونة له . أما المنهج السيميائي من خلال الاعتماد على المربع السيميائي والنموذج العاملي لغريماس .

ومن أبرز الصعوبات التي واجهتني في انجاز هذا البحث هي ضخامة متن السيرة مما جعل تقسيمها إلى مراحل أمر في غاية الصعوبة .وقلة المراجع التي تطرقت إلى الدراسة السيميائية للسيرة الشعبية، وصعوبة الحصول على بعض المراجع الجوهرية التي تمنيت أن تكون موظفة في دراستي ولكنني تجاوزتها بفضل مراجع أخرى كانت سندا لي وسدت بعض ثغرات افتقاري لها والتي من بينها :

- سعيد يقطين ، قال الراوي ((البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)).
- خطري عرابي ، البناء الأسطوري للسيرة الشعبية سيرة سيف بن ذي يزن نموذجا .
- أبو الفتوح العفيفي ، البطولة بين الشعر الغنائي و السيرة الشعبية.

و في الأخير لا يسعني إلا أن أقدم جزيل الشكر و كثير الثناء لكل من وقف مساندا لي لينجز هذا البحث و أخص بالذكر أستاذي الدكتور أحمد زغب الذي لم يبخل علي بملاحظاته و توجيهاته القيمة التي أنارت الدرب أمامي ، وعبدت طريق الوصول إلى بر الأمان ، فنعم المعلم و المشرف كان ، وكذا جميع الأساتذة المحترمين و زملائي دون استثناء على كل مساعدة قدمت لي .

و أخيرا أنوه أن هذا جهد باحثة مبتدئة تخطئ وتصيب لاشك، إلا أني على يقين أن الملاحظات والتوجيهات التي أتلقاها من أساتذتي الكرام ستصوب أخطائي بإذن الله في قادم الأبحاث

والله ولي التوفيق .

الفصل الأول

الفصل الأول :

في المباني والمفاهيم الدلالية للشخصية والبطل والسيرة الشعبية

المبحث الأول :الشخصية مفهومها وأهميتها

أولا: الشخصية في اللغة والاصطلاح

ثانيا: الشخصية عند علماء الاجتماع وعلماء النفس والأدب

ثالثا: الشخصية الحكائية في السيميائيات السردية

المبحث الثاني : ماهية البطل الشعبي

أولا: البطل في اللغة والاصطلاح

ثانيا: صفات البطل الشعبي

ثالثا: أبعاد و مقومات شخصية البطل

المبحث الثالث: السيرة الشعبية المصطلح والمفهوم

أولا: السيرة لغة واصطلاحا

ثانيا: علاقة السيرة الشعبية بالأجناس الأدبية الشعبية الأخرى

ثالثا: تشكل السيرة الشعبية والدوافع الكامنة وراء انتشارها وتداولها

رابعا : ملامح عامة حول السيرة الشعبية

المبحث الأول :الشخصية مفهومها وأهميتها

أولا : الشخصية في اللغة والاصطلاح :

أ- الشخصية لغة:

تندرج كلمة الشخصية في لسان العرب تحت مادة "ش خ ص":

الشخصُ: جماعة شَخْص الإنسان وغيره مذكر، والجمعُ أشخاصٌ وشُخوص وشِخَاص.

والشخصُ سوادُ الإنسان وغيره تراه من بعيد تقول ثلاثة أشخص وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه.

والشخصُ: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخصِ[1].

ويفهم من خلال التعريف اللغوي لابن منظور أن مصطلح الشخصية يحمل في دلالاته الظهور والبروز والارتفاع، وهي تحمل نفس المعاني في "القاموس المحيط" فنجد: الشخصُ: سواد الإنسان وغيره تراه من بُعْدٍ، ج: أشخُصٌ وشخوص وأشخاص، وشَخَصَ كمَنَعَ، شخوصًا: ارتفع[2].

وقد ظهرت كلمة الشخصية في المعجم الوسيط "مجمع اللغة العربية":

"الشخصيةُ صِفاتٌ تميز الشخص من غيره ويقال فلان ذو شخصية قوية ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل"[3].

وجاء في معجم (الرائد) الذي وضعه "جبران مسعود":" الشخصية الخصائص الجسمية والعقلية والعاطفية التي تميز إنسانًا معينًا من سواه"[4].

كما ورد في (الموسوعة العربية العالمية) التي وضعها نخبة من الأساتذة والمثقفين:" الشخصية مصطلح لكثير من المعاني العامة، إذ يشير أحيانًا إلى القدرة على حسن التعامل مع الناس اجتماعيًا، مثلا

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج 8، د ط، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ص 312.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح وإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط 8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005، ص621.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط،د ط، دار المعارف، مصر، 1972، ص 475.

[4] جبران مسعود، الرائد (معجم لغوي عصري)، ط 7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1992، ص 467.

نتحدث أحيانًا عن تجارب أو علاقات يقال إنها تضفي على شخص ما مزيدًا من الشخصية، وقد نشير إلى أوضح انطباع يخلقه الشخص لدى الآخرين، فنقول مثلا شخصية محبوبة نعني أنه شخص محبوب"[1].

ب – الشخصية اصطلاحًا:

تعدد مفهوم الشخصية بتعدد الرؤى واختلاف وجهات النظر وتشعب المعارف والعلوم فتناولها بالدراسة علماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء اللغة والأدب...والأصل في كلمة شخصية Personality أنها مشتقةٌ من لفظ لاتيني Persona ومعناه القناع أو الوجه المستعار الذي يظهر به الشخص أمام الغير، وكان استعمال هذا اللفظ مرتبطا بالتمثيل المسرحي حيث يبدو الشخص للغير عن طريق ما يأتيه من حديث وحركات ظاهرة والغرض من استعمال هذا القناع هو تشخيص خلق الشخصية[2].

✓ وهذا التعريف حسب رأينا يعبر عن المظهر الخارجي الموضوعي للشخصية.

والمعنى الشائع للشخصية في حياتنا اليومية هو دلالة على الإنسان الذي له مكانة مرموقة في المجتمع وله القدرة على التأثير في الآخرين، ومعنى هذا في نظرهم أن الشخصية شيء موجود عند أفراد ومفقود عند آخرين. والحقيقة العلمية أن لكل إنسان يعيش في المجتمع شخصيته الخاصة به غير أن الناس يختلفون في نوع الشخصية وليس في وجودها وعدمها.

ثانيا : الشخصية عند علماء الاجتماع وعلماء النفس والأدب :

مصطلح الشخصية شائع الاستعمال سواء عند العامة أو المثقفين وله تعريفات متعددة. وسوف نتعرض فيما يلي لبعض تعريفات الشخصية، فنتناول وجهة نظر علماء الاجتماع فنجد أنهم يربطون بينها وبين البيئة المحيطة، فالشخصية في نظرهم هي "نتاج التفاعل الاجتماعي والثقافي بين الفرد ومجتمعه،

[1] نخبة من الأساتذة والمثقفين، الموسوعة العربية العالمية، ج 14، ط 2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 84.

[2] سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، (بحث في علم الاجتماع الثقافي)، ط 2، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص 116.

ويجبُ دراسة الشخصية كموضوع من خلال دراسة المجتمع والثقافة لأن الشخصية تنهض – أصلاً – على مقومات اجتماعية وثقافية ..."[1].

- أما مفهوم الشخصية في علم النفس فهو من أشد المفاهيم تعقيدًا وتركيبًا لأنه يتضمن جميع الخصائص والصفات المكونة للشخصية الجسمية والنفسية والوراثية والخلقية...فنجد مورتين برنس " Morton Prince" ينظر إلى الشخصية من حيث هي اجتماع لعدد من العناصر أو لعدد من المكونات الأساسية فيقول عنها: "هي حاصل جمع كل الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة، كذلك الصفات والاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة"[2].

- أما من جانب السرد فتستحوذ الشخصية على المرتبة الأولى من مكونات الخطاب السردي، إذ هي الوعاء الحامِلْ لأفكار الكاتب والوسيلة المعبرة عن أهدافه ومراميه لذلك كانت الشخصيات محل دراسة من قبل الكتَّاب. وإن أول ما يشغل بال الروائي هو طريقة تقديم شخصياته إلى القارئ وتعريفه بها ولذلك تراه يبذل قصارى جهده لتقديمها بطريقة مشوقة تستهوي القارئ وتجعله يهتم بها. ويعرض الناقد محمد غنيمي هلال أهمية الشخوص في القصة في قوله: "الأشخاص في القصة مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة ولهذه المعاني والأفكار المكانة الأولى في القصة إذا انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه. وتحيا الأفكار في الأشخاص ويحيا بها الأشخاص وسط مجموعة من القيم الإنسانية ويظهر فيها الوعي الفردي متفاعلاً مع الوعي العام"[3] كما يرى أيضًا "أن الشخصية في الأدب مشكل إبداعي رئيس يرتبط ظهوره بالحكي والقص والرواية فالكاتب يخلق أشخاصًا مستوحيًا في خلقهم الواقع مستعينًا بالتجارب التي عاناها هو أو لاحظها وهو يعرف كل شيء عنهم ولكنه لا يفضي بكل شيء"[4]. وهناك من النقاد من تأثر بعلماء الاجتماع فرأى الشخصية تمثيل لنماذج اجتماعية فنجد منهم:

---

[1] محمد أبو الفتوح العفيفي، البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية، عنترة بن شداد أنموذجًا، ط 1، إيتراك للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ص 10.

[2] سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، ص 120.

[3] بان البنا، الفواعل السردية "دراسة في الرواية الإسلامية المعاصرة"، ط 1، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2009، ص 68.

[4] أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، دط،دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2012، ص 49.

جورج لوكاتش "George Lukaas" الذي ينظر للشخصية: "لا غنى لكل عمل أدبي كبير عن عرض أشخاصه في تظافر شامل لعلاقات بعضهم مع بعض، ومع وجودهم الاجتماعي ومعضلات هذا الوجود وكلما كان إدراك هذه العلاقات أعمق وكان الجهد في إخراج خيوط هذه الوشائج أخصب كان العمل الأدبي أكبر قيمة وبالتالي أقرب منهلا من غنى الحياة الفعلي"[1]

كما أن "الشخصية هي جميع الملامح الجسمية والوجدانية والعقلية والخلقية في حالة تفاعلها ببعضها البعض في الشخص الذي يعيش في بيئة اجتماعية معينة"[2].

بينما يربط تودوروف بين الشخصية والصفات التي تحملها في قوله: "الشخصية هي مجموع الصفات التي كانت محمولة للفاعل من خلال الحكي"[3].

- ونخلص إلى مفهوم يقارب ماهية الشخصية إذ نقول أنها عنصر يظهر من خلال الصراع وتفاعل الأحداث في العمل الفني الأدبي وكلما كان الصراع قويا واضحا كان العمل أنجح وأعمق تأثيرا والشخصية أهم عنصر من عناصر النص السردي لأنها عنصر متحرك يدفع تطورها إلى تطور الأحداث وهي مصدر المتعة للقارئ من خلال تفاعله مع هذه الأحداث .

ثالثا: الشخصية الحكائية في السيميائيات السردية :

إن المقاربات التي اعتمدت على المناهج السيميائية قد نظرت للشخصية من منظور آخر، فنجد رولان بارت R. Barthes يعرفها بأنها" نتاج عمل تأليفي فهي ليست كائنًا جاهزًا، ولا ذاتا نفسية بل هي بمثابة دليل له وجهان أحدهما دال والآخر مدلول، فتكون الشخصية بمثابة دال عندما تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخصُ هويتها، أما الشخصية كمدلول فهي مجموع ما يقال عنها بوساطة جمل متفرقة في النص أو بوساطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها؛ وهكذا فإن صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص

[1] جويدة حماش، بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والجبل لمصطفى فاسي، مقاربة في السرديات، دط،منشورات الأوراس، الجزائر، 2007، ص57.

[2] عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى الغرب – مكونات البنية الفنية – ج2، د ط،، دار السبيل، الجزائر،،2008، ص 57.

[3] تزفطان تودوروف، تر: عبد الرحمان مزيان، مفاهيم سردية، ط 1، دار الاختلاف، الجزائر، 2005، ص 74.

الحكائي قد بلغ نهايته ولم يعد هناك شيء يقال"[1] .ونفهم من هذا التعريف أن رولان بارت نظر إلى الشخصية من منظور لساني بوصفها وحدة دلالية قابلة للتحليل من حيث هي دال ومدلول. ومفهوم الشخصية عنده يلتقي بمفهوم العلامة حيث ينظر إليها كمورفيم فارغ في الأصل سيمتلئ تدريجيًا بالدلالة كلما تقدمنا في قراءة النص حتى نصل إلى نهايته.

بينما الشخصية في نظر السيميائي فيليب هامون Philippe Hamon: "ليست مفهومًا أدبيًا خالصًا وليست مفهومًا أنثروبولوجيًا خالصًا وهي ليست مرتبطة بنظام سيميائي خالص، بخاصة اللساني منه، ولكنها مفهوم مرادف لإعادة تشكيل يقوم به القارئ بقدر ما هو تشكيل نصي، فالبطاقة الدلالية للتعريف بالشخصية ليست معطى مسبقًا وثابتًا يستدعي معرفته بشكل خالص؛ ولكنها تشكيل يتكون بالتدريج لأنها شكل خاو تعمل على ملئه المحمولات المختلفة (الأفعال أو الصفات) لذلك تتكون دلالتها من ثلاثة أبعاد يشكل البعد الأول المؤلف أو الراوي ويشكل الثاني النص، ويشكل البعد الثالث القارئ"[2].

ولهذا السبب لجأ بعض الباحثين إلى طريقة خاصة في تحديد هوية الشخصية الحكائية تعتمد محور القارئ ،لأنه هو الذي يُكون بالتدريج – عبر القراءة – صورة عنها ويكون ذلك بواسطة مصادر إخبارية ثلاثة:

- ما يخبر به الراوي
- ما تخبر به الشخصيات ذاتها
- ما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات

ويترتب عن هذا التصور أن تكون الشخصية الحكائية الواحدة متعددة الوجوه، وذلك بحسب القراء واختلاف تحليلاتهم[3].

[1] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي،دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 09.

[2] أمينة فزاري، سيميائية الشخصية، ص 54.

[3] حميد لحميداني، بنية النص السردي، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991، ص 51.

- **الشخصية الحكائية:** إن إطلاق الشخصية الحكائية يعني تمييزها من الشخصية الروائية ومن الشخصية القصصية وهذا يعني بدوره تمييز القص التقليدي من القص الحديث، والحكي الشعبي من الرواية والقصة والأقصوصة، وذلك على غرار ما قاله الناقد الفرنسي رولان بارت أنه :"ليس ثمة قصة واحدة في العالم خالية من الشخصيات"[1]. ولفظة الحكائية هي مجموعة الخصائص التي تلحق أي عمل حكائي بجنس محدد هو السرد باعتبارها موضوعًا للبحث تشتغل به ضمن ما نسميه بسرديات القصة أو المادة الحكائية، ويُعرف سعيد يقطين الحكائية بأنها "مقولة كلية ثابتة تضم شبكة من المقولات الفرعية وكلما توفرت في أي عمل وبأي صورة أمكننا وسم هذا العمل بأنه ينتمي إلى جنس "الخبر" أو "السرد" وتتحقق الحكائية في الكلام من خلال تحقيق العناصر الآتية:

1-فعل أو حدث قابل للحكي

2-فاعل أو عامل يضطلع بدور ما في الفعل

3-زمان الفعل

4-مكان الفعل أو فضاءه

- وهي تتألف في نظره من أربع مقولات رئيسية وهي:

1-مقولة الوظيفة (الفعل/الحدث) 3- مقولة الزمان

2-مقولة العوامل (الفاعل) 4- مقولة الفضاء (المكان)"[2]

وقد شغلت الشخصية الحكائية النقاد والباحثين منذ أن عد الأدب الشعبي أدبًا يستحق التقدير ويستلزم الدراسة والنظر والتحليل، فتعددت التصورات، واختلفت وجهات النظر، وتباينت طرق التحليل وأساليب الدراسة من الشكلانية إلى علم الدلالة البنيوي إلى علم السرد الحديث إلى السيميائيات السردية.

[1] أمينة فزاري، سيميائية الشخصية، ص 43.

[2] سعيد يقطين: قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص 19.

المبحث الثاني : ماهية البطل الشعبي :

أولا : البطل في اللغة والاصطلاح :

أ– البطل لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور شرح لمادة بطل وهو كما يلي:

بطل: بطَلَ الشيءيبطلُ بطلاً وبطؤلاً وبطلانا: ذهب ضياعًا وخسرا فهو باطل وأبطله له.

ويقال ذهب دَمَهُ بطلا أي هدرًا وبَطِلَ في حديثه بطالة وأبطَلَ: هزل والاسم البطل. والباطل نقيض الحق والجمع أباطيل.

والبطل: الشجاع وفي الحديث: شاكي السلاح بطل مجرب ورجل بَطَل بين البطالة والبطولة: شجاع تبطل جراحته فلا يكترث لها ولا تبطلُ نجادته، وقيل: إنما سمي بطلا لأنه يبطلُ العظائم بسيفه فيبهرجها وقيل: سمي بطلا لأن الأشداء يَبْطلون عنده، وقيل: هو الذي تبطل عنده دماء الأقران[1].

وفي معجم الصحاح ورد في مادة بطل:

الباطلُ: ضد الحق والجمع أباطيل على غير قياس كأنهم جمعوا أبطيلا وقد بطل الشيء يبطلُ بطلاً وبطولاً وبطلانًا وأبطله غيره ويقال ذهب دمه بُطلاً: أي هدرًا.

والبطلُ: الشجاع والمرأة بطلة وقد بطلَ الرجل بالضم يبطُلِ بطولة وبَطالة أي: صار شجاعًا، وبطل الأجير بالفتح بطالة أي تعطّل فهو بطال[2].

ومعنى بطل في المعجم الوسيط :الشيء بُطْلاً وبُطولاً وبطلانًا: ذهب ضياعًا، يقال: بطل دم القتيل وذهب دمه بطلاً: إذا قتل ولم يؤخذ له ثأره ولا دية وفسد وسقط حكمه ،يقال: بطل البيع وبطل الدليل فهو باطلٌ والعامل بِطالة: تعطّل فهو بطالٌ (بَطلَ) بطولة: شجع واستبسل فهو بطلٌ[3].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج 11، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، ص 56.

[2] أبو النصر إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دط،دار الحديث، القاهرة، 2009، ص 99.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 61.

ومما نلاحظه أن معظم المعاجم اللغوية العربية لا تتعدى في تعريفها للبطل الشجاعة المتصلة بالقوة الجسدية سواء القديمة وحتى الحديثة فنجد في معجم اللغة العربية المعاصرة في مادة "ب ط ل" بطلَ يَبْطلُ، بطولة، فهو بَطلٌ.

بطلَ المقاتل: تشجع واستبسل وضحّى "بطل الجنديُّ في ساحة المعركة – يعدُ خالد بن الوليد بطلا من أبطال التاريخ"[1].

بينما نجد في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب البطلُ:

1- شخصية أسطورية قد تكون من سلالة إلهية حسب معتقدات الديانات المتعددة الوثنية ، لها قوة خارقة ومهارة تميزها عن البشر. مثال ذلك: هرقل أو أخيل في الأساطير اليونانية القديمة.

2- محارب شهير أو إنسان يعجبُ به الناس لما له من مآثر ومكرمات وذلك مثل: عنترة عند العرب.

3- ذلك الشخص الذي يلعبُ دورًا رئيسيًا في القصة أو المسرحية، وتنطوي نفسه على صفات وقوى يتعاطف معها القراء أو النظارة دون غيره من الشخصيات[2].

ومن خلال هذا التعريف نجد أن التعريف الثاني والثالث هو الذي يناسب موضوع بحثنا حول مفهوم البطل.

ب- البطل اصطلاحًا:

تندرج مقولة البطل ضمن مقولة الشخصية ونعني بالبطل الشخصية الرئيسية في قصة تخيلية ما[3]. وقد تعرض مفهوم البطل للتطور منذ القدم، فمنذ أن وجد الإنسان على ظهر الأرض وحياته سلسلة متلاصقة من التحديات والصراعات بينه وبين الطبيعة حينا، وبينه وبين أخيه الإنسان حينًا آخر، ولقد فجر وجوده في هذا العالم المتصارع طاقات نفسية وجسمانية وعقلية لا حدود لها، فهو في مواجهات مستمرة مع ذاته لعله يستطيع تحقيق طموحه وأحلامه الخاصة وهو أمام مواجهة الطبيعة بما فيها من مناخ

[1] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 1، ط 1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص 218.

[2] مجدي وهبه، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 78.

[3] مجموعة من المؤلفين، اشراف :محمد القاضي ،معجم السرديات،ط1،دار محمد علي،تونس،2010،ص 51.

متقلب وكائنات متوحشة وجفاف في الصحراء... وهو في مواجهة مع القوى العلوية الخفية، وعدد كبير من الغيبيات التي يعجز عقله عن الخوض فيها، وهو يتعامل مع الزمن في حذر كبير فيرحل إلى عالم الموت انتظارًا لبعث آخر. كان من الطبيعي إذا وقد استقر وجوده بين كل هذه القوى أن يركز قواه على عالمه هو، ذلك العالم الذي يتحكم أن يكون مميزًا فيه على الكائنات الأخرى التي تشاركه الحياة، ومن ثم ثارت بداخله الرغبة في التفوق وتحقيق الغلبة على الأقران بحيث يرتفع بها عمن حوله من البشر، ارتفاعًا يملأ نفوسهم له إجلالا وإكبارًا، لذا كان مفهوم البطولة أو الغلبة أو التفوق مصاحبًا للإنسان منذ وجد على هذه الأرض. وقديمًا كان البطل في القبيلة وفي العصور الأولى للحياة يُعد شخصًا مقدسًا لأنه إنسان متميز بها ويقدرُ على أشياء لا يقدرُ عليها الآخرون؛ لهذا نُظر إليه أحيانًا أنه من سلالة الآلهة، وكلما أتى البطل بفعل عظيم أو نجا من قتل محقق أو انتصر على عدو شرس أو تفانى في خدمة البشر ازداد الناس له تقديرًا وتقديسًا، ولم يكن الإنسان الذي يمثل طرفًا في هذا الصراع قادرًا على التمييز بينه وبين القوى؛ إنما كان يدرك ذاته باعتبارها امتدادًا لمظاهر الكون المتصارعة أما عندما شعر الإنسان بذاته وأدرك الفواصل التي بينه في العالم السماوي، نقل فكرة البطولة إلى عالمه الأرضي وفكر في الوسائل التي يحقق بها وجوده على الأرض وهنا ظهرت البطولة في السيرة الشعبية، وعندئذ أصبح الفعل البطولي يقوم به الإنسان بصفة رئيسية، أما قوى العالم الآخر فيظل الفاصل بينها وبين الإنسان قائمًا ولم تعد تقوم بدور البطولة — كما كانت في الأسطورة — إنما تصبح قوى مساعدة ترقب الإنسان عن كثب ولا تتدخل إلا عند الحاجة[1]. ومنذ هذه اللحظة كما تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم: "أصبح الإنسان ثملا بوجوده على وجه الأرض وأصبح همه أن يصور النموذج البطولي للإنسان الذي يستطيع أن يحقق شيئًا رائعًا لعالمه الإنساني ولا يعني هذا أنه انفصل عن العالم الغيبي، فالإنسان القديم ومثله الإنسان الشعبي لا يشعر بوجوده إلا في ظل إحساسه بوحدة الكون"[2]. وكان إحساس الإنسان بقدرته على تغيير واقعه هو الدافع وراء نشأة

[1] عبد الحميد بورايو،الأدب الشعبي الجزائري،دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر،دط،دار القصبة،الجزائر،2007،ص:92.

[2] عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 69.

القصص البطولي حيث ترى نبيلة إبراهيم "البطولة الشعبية تتحدد حركتها بغائية تتلاشى معها الفوضى ليسود النظام ويتلاشى معها الشر ليسود الخير ويتلاشى معها القبح ليسود الجمال"[1].

ويذهب جورج لوكاتش في نظرته للبطل نفس هذا الاتجاه حيث يرى أن "البطل إشكالي لأنه يبحث عن قيم أصلية في عالم متدهور... وهو إيجابي لأنه يؤمن بانتصار الطبقة العاملة وتحقيق مجتمع العدل والمساواة"[2].

وفي تحديد معنى البطل الأسطوري من البطل في السيرة الشعبية نجد أن بطل الأسطورة "ليس إنسانًا معينًا بالذات يعيش وسط صراع حددته ظروف بعينها، وإنما هو رمز أخرجته الجماعة ليخوض بدلاً منها المعارك التي تعجز هي عن أن تخوضها، وليحقق لها من الانتصارات على القوى الخارقة ما يحدث التكامل والتنفيس عند الجماعة كلها"[3]. بينما نجد بطل السيرة الشعبية " شخصية تاريخية ولكن تمجيد الشعب له أدخله في نطاق الأسطورة"[4]. ويرى فاروق خورشيد ومحمود ذهني في كتابهما الموسوم بفن كتابة السيرة الشعبية "أن كاتب السيرة الشعبية استمد أبطاله من الأساطير العربية، واستعان استعانة كاملة بكل ما تتيحه الأسطورة من حركة لا تعرف التحديد المكاني ولا الزماني للبطل، كما لا تعرف التحديد الذي يرتبط بالقدرات البشرية في إمكانيات البطل ... إذ السيرة الشعبية شعبية من حيث المتلقي وشعبية من حيث التعبير عن مجاميع الشعب، فالبطل فيها يعكس أمال المجموعة وأحلامها، بل إنه يمثل في الحقيقة حلمها، والحلم لا يتقيد بما يقيد البطل البشري من مواصفات وقدرات محدودة فبطل السيرة الشعبية يمثل قدرة المجموعة على مواجهة القوى وهزيمتها وتحقيق كيانها والشعور بذاتها. والذي حدث من تطور هو أنه أصبح يحمل قضية مفردة، فبدلا من هزيمة الطبيعة والقوى الخارقة المجهولة في

[1] نبيلة إبراهيم، البطولات العربية والذاكرة التاريخية، ط 1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1995، ص 10.

[2] مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص 52.

[3] فاروق خورشيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية، دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية، عنترة بن شداد، ط 2، منشورات إقرأ، 1980، ص 23.

[4] حسن مجيب المصري، الأسطورة بين العرب والفرس والترك، دراسة مقارنة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991، ص 93.

الأسطورة، أصبح يهزم الشعوبيين الذين يدعون الاستيلاء على العرب والذين يغلبون الأصول الجنسية في تقسيم الناس إلى سادة وعبيد"[1].

ثانيا: صفات البطل الشعبي :

أما فيما يخص وصف البطل نجد أن شوقي ضيف يصفه بكونه"مرتفعًا عن الأشخاص العاديين من حوله بقوته وبسالته، وإقدامه وجرأته، وتغلبه على أقرانه، وهو منهم من ذات أنفسهم لا من سلالة الآلهة ولا أنصاف الآلهة، بشر سوي لا يعلو على الحدود البشرية الإنسانية وبطولته لذلك تنفجر من وجوده الإنساني البشري لا من ينابيع الآلهة أو سحرية غيبية"[2]

كما يصف رانيلا البطل الشعبي بأنه "ما لا مثيل له في خصائص البطل الشعبي حسن بلائه في المبارزة وحتى إذا حارب في صفوف الجيش فهو يُحاربُ الأعداء جميعًا واحدًا واحدًا في آن واحد ومن الخصائص اللازمة للبطل كذلك أنه يكسبُ المعركة على الدوام فهو البطل الأعلى الذي لا يقهر على الأقل حتى نهايته حتى إذا ما حانت نهاية حياته، فإنه يتبع كذلك الأنموذج الشعبي"[3].

وتراه نبيلة إبراهيم بأنه "الشخص المحوري الذي تنمو شخصيته من الداخل أي من داخل نفسه، فيحسُ بخطر يتهدده وهو يُحاول أن يستكشف من داخل كُنْهِ هذا الخطر وعلاقته بمصيره"[4].

"والبطل قادر على أن ينتصر في مغامراته ومخاطراته، ويتصف بالشجاعة والإقدام والصبر، ويدافع على الحق الإنساني، في ثقة بالنفس... وإن هذه الصفات الإنسانية تجعل من أبطال السير أبطالا في كل العصور"[5] و البطل الشعبي العربي تتجمع فيه سمات هامة أهمها:

1-اتصال نسبه بما يثبت عروبته وشرفه وأهمية آبائه جميعًا.

2-دفاعه عن مثل وعقيدة، لا بد أن تكون خيرة مؤمنة.

---

[1] فاروق خورشيد ومحمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية ، ص 30.

[2] شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، د ط، دار المعارف، مصر، 1970، ص 14.

[3] أمينة فزاري، سيميائية الشخصية، ص 130.

[4] نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، د ط، دار قباء، مصر، دت،ص 124.

[5] عبد التواب يوسف، الطفل العربي والأدب الشعبي، ط 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهر، 1992، ص 45.

3-أن تسنده قوة غيبية "خارقة" تثبت صحة ما يدافع عنه من مبدأ[1].

من خلال ما سبق نجد أن البطل الشعبي قد وصف بعدة صفات منها أنه إنسان يتميز بالقوة والبسالة والصبر والدفاع عن الحق ... ولكن معظم المواصفات تشترك في أن صفة الشجاعة والإقدام والغلبة على الأقران هي السمة التي تميز البطل من غيره.

ويُعتبر البطل في نظر الوجدان الجمعي النموذج الذي يقتدي به والذي يحقق المثل العليا التي تتطلع إليها الجماعة، فعبد الحميد بورايو يرى "أن شخصية البطل مجسدة للنموذج الإنساني الذي ينزع للكمال ويتمتع بصفات تدعو للإعجاب والتقدير، وتتعلق به نفوس المتلقين إذ إنها تجدُ فيه المثل الأعلى وتجدُ في أعماله البطولية إشباعًا لحاجات نفسية"[2].

كما أن شكري عياد يرى أن "البطل تعبير فني واع ولا واع في الوقت نفسه عن رغبة دفينة في أعماق نفوسنا تشق سبيلها إلى التحقيق فتدخل في تجربة تثير في نفوسنا ما تثيره التجارب الواقعية من انفعال وتهيئنا لتلقي هذه التجارب الواقعية بخبرة سابقة، منطوية على إدراك لما يقتضيه وجودنا المتطور من تضحية مستمرة"[3].

ويرى أبو الفتوح العفيفي أن "الوجدان الجمعي الشعبي يحمل بطله أعباء قضاياه القومية والاجتماعية، فيصبح هذا البطل متحدثًا رسميًا عن الشعب في كل قضاياه ومشاكله .وفي سبيل ذلك يختلق الخيال الشعبي عدوًا للبطل يودعه كل القيم المكروهة من قبل الشعب ليصبح قوة تعادي البطل الذي يجسد كل القيم المحببة للشعب والذي يحرصُ على الإبقاء عليها والدفاع عنها كقيم الحق والعدل والحرية والحب والمساواة"[4].

---

[1] عبد التواب يوسف،الطفل العربي والأدب الشعبي، ص 46.

[2] عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات الشفوية (الأداء – الشكل – الدلالة)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 37.

[3] أبو الفتوح العفيفي، البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية، ص 19.

[4] المرجع نفسه، ص 21.

- أما شخصية البطل بصفة عامة في العمل الفني الأدبي فقد أجمع النقاد على أن يطلقوا مصطلح البطل على الشخصية الفنية التي يسند إليها الدور الرئيسي في العمل القصصي؛ وهي الشخصية التي تستحوذ على الاهتمام الخاص وتمثل المكانة الرئيسية في القصة، وقد تكون سلبية كما تكون إيجابية أو متذبذبة بين هذه القصة وتلك، وقد تكون محبوبة أو منبوذة من طرف القارئ، المهم أنها تمثل المحور الرئيسي في القصة والقطب الذي يجذب إليه كل العناصر الأخرى ويؤثر فيها[1].

ثالثا: أبعاد و مقومات شخصية البطل:

1- أبعاد شخصية البطل:

هناك أبعاد لرسم الشخصيات في القصة يجب على القاص أن يلم بها لتوضيح صورة شخصياته وهذه الأبعاد هي:

أ- البعد الفيزيولوجي (الجسمي): للبعد الفيزيولوجي أهمية كبرى في توضيح ملامح الشخصية وتقريبها من القارئ[2].ويهتم القاص في هذا البعد برسم الشخصية من حيث طولها أو قصرها، وحسنها ووسامتها أو دمامتها واستدارة وجهها أو استطالتها وبروز أنفه أو صغره وطول عنقه أو قصره وبدانته أو نحافته ولون بشرته وعينيه وشعره[3]...ووصف الشخصيات يُعد بمثابة الأرضية الخصبة التي تهيئ لنا إمكانية تحديد مختلف التحولات الوظيفية والمادية، بحيث يقوم السرد في هذا المجال بدوره من خلال جملة من الملفوظات المتتالية.

ب- البعد الاجتماعي: ونقصد بالجانب الاجتماعي التربية والبيئة. ويرى محمد غنيمي هلال بأن هذا البعد يتمثل في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية، وفي عمل الشخصية، وفي نوع العمل ولياقته بطبقتها في الأصل وكذلك في التعليم وملابسات العصر وصلتها بتكوين الشخصية ثم حياة الأسرة في

[1] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصر 1947-1985، د ط، دراسة اتحاد الكتاب العرب،الجزائر، 1998، ص 32.

[2] مفقوده صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ط 2، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص 380.

[3] عبد الله خمّار، تقنيات الدراسة في الرواية (1) الشخصية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 1999، ص 23.

داخلها الحياة الزوجية والمالية والفكرية في صلتها بالشخصية وتتبع ذلك الدين والجنسية والتيارات السياسية في إمكان تأثيرها في تكوين الشخصية.

ج- البعد النفسي: ويهتم القاص من خلال هذا البعد بتصوير الشخصية من حيث مشاعرها وعواطفها وطبائعها وسلوكها ومواقفها من القضايا المحيطة بها، ويعد هذا البعد ثمرة البعدين السابقين في الاستعداد والسلوك والرغبات والآمال والعزيمة والفكر وكفاية الشخصية بالنسبة لهدفها، ويتبع ذلك المزاج من انفعال وهدوء ومن انطواء وانبساط[1] ويظهر الجانب النفسي من خلال إبراز الصراع النفسي ويظهر ذلك في أشكال المونولوج المختلفة[2].

✓ وهذه الأبعاد لا قيمة لها إلا في إطار القدرة الفنية التي تربطها رباطًا وثيقًا بنمو الحدث والشخصية لتتحقق وحدة العمل الأدبي، أو وحدة الموقف في توتره وغزارة معناه وفي تجسيم هذه المعاني في نتاج حي لا يخرج عن دائرة الاحتمال.

2- مقومات شخصية البطل:

تقوم الشخصية على عدة مقومات تساهم في تكوينها وتميزها عن غيرها ومن بين أهم هذه المقومات ما يلي:

أ- البيئة الاجتماعية: وهي البيئة التي يتلقى منها الفرد عاداته وتقاليده وقيمه الخلقية سواء أكانت قيمًا سامية أم دينية، والمستوى الاجتماعي الذي يعيش فيه سواء أكان غنيًا أو فقيرًا، والظروف العائلية حيث يجمع بين أفراد الأسرة الحب والتآلف أو الشقاق والتنافر، وتعتبر كاشفًا مهما لسلوك الشخصية من أنماط السلوك التي يتعلمها الإنسان من بيئته فهي تمثل عاملا هامًا في عملية التنشئة الاجتماعية وتأثير النواحي الاجتماعية على شخصية الفرد حيث يقضي الفرد جزءًا كبيرًا من حياته في تفاعل مع الآخرين في البيئة المحيطة به[3].

---

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، د ط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973، ص 614.

[2] مفقوده صالح،المرأة في الرواية الجزائرية،ص 384.

[3] عبد المنعم الميلادي، الشخصية وسماتها، د ط، مؤسسة شباب جامعة الإسكندرية، د ت، ص 16.

ب- البيئة الثقافية: تمثل الثقافة عاملا ومقومًا هامًا في تكوين شخصية الفرد فاختلاف سمات الشخصية في المجتمعات المختلفة يرجع إلى تأثير الثقافة؛ فكل نمط ثقافي يمكن أن يؤدي إلى تثبيت سمات معينة في الشخصية[1] .والثقافة نتاج رقي المجتمع وعصارة حضارته وخلاصة مُثله وقِيمه ومحك تقدمه وتخلفه وحظ الناس منها يختلف من شخص لآخر فهناك المفكر والمثقف والمتعلم والجاهل[2]. وإن الشخصية لا يمكن عزلها عن الإطار الحضاري الذي نشأت فيه لأن الثقافة والشخصية عبارة عن جانبين اثنين لنفس الحقيقة الواحدة[3].

ج- البيئة الجغرافية: يؤثر المكان الذي يعيش فيه الإنسان على تكوين ونمو الشخصية، فالطبيعة الجغرافية من مناخ وتضاريس لها أثر فعال، فمثلا سكان السواحل غير سكان الصحراء حيث يختلف نمط العيش والتفكير والعادات والتقاليد وغيرها فمثلا البدو في الصحراء والإسكيمو في المناطق القطبية هم إلى حد كبير نتاج البيئات الطبيعية المختلفة فنمو أجسامهم وطرق معيشتهم وأساليب حياتهم تأثرت إلى حد كبير بالبيئة، فالحرارة والعوامل الجوية يجعلان بعض الناس سمر البشرة على حين يجعلان البعض الآخر بيض البشرة[4].

د- البيئة الوراثية: الوراثة من أهم العوامل والمقومات التي تؤثر في تكوين شخصية الأفراد فمظهر الإنسان الخارجي من طول وقصر ولون بشرة يلعبُ دورًا كبيرًا في التكوين الجسمي للفرد إضافة إلى الشكل الخارجي فيولد الإنسان وقد زود بالمكونات العقلية والمعرفية وهذه تحدد مسارا تعليميا معينا...أو تؤهله للالتحاق بمهنة معينة تناسب تركيبته الجسمانية والعقلية ومميزاتها الفكرية[5].

---

[1] عبد المنعم الميلادي،الشخصية وسماتها، ص 16.

[2] عبد الله خمّار، تقنيات الدراسة في الرواية، ص 24.

[3] سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، ص 251.

[4] المرجع نفسه، ص 187.

[5] عبد المنعم الميلادي، الشخصية وسماتها، ص 13.

المبحث الثالث: السيرة الشعبية المصطلح والمفهوم

أولا: السيرة لغة واصطلاحا :

قبل التطرق لمفهوم السيرة الشعبية سنتعرض أولا لمفهوم أدب السيرة بشكل عام:

– مفهوم أدب السيرة:

تحمل لفظة "سيرة" عدة مدلولات لغوية واجتماعية وتاريخية أما السيرة بالمدلول اللغوي فقد ورد في لسان العرب تحت مادة (س ي ر) بمعاني متعددة: فالسيرة السُنة، وقد سار وسرتها، يقول الشاعر

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها فأول راض سيرة من يسيرها

أي أنت جعلتها سائرة بين الناس، والسيرة الهيئة من ذلك قوله تعالى : { سنعيدها سيرتها الأولى }، والسيرة الطريقة يقال سار بهم سيرة حسنة، كما ترد السيرة بمعنى الشيوع فنقول سيَر سيرة: حدَث حديث الأوائل، وسار الكلام والمثل بين الناس: شاع[1].

من خلال التعريف الذي أورده ابن منظور نجد أن المدلول اللغوي للسيرة يحمل أربعة معاني: السُنة والهيئة والطريقة والشيوع. ونفس هذه المعاني نجدها في القاموس المحيط فالسيرة بالكسر: السُنة والطريقة والهيئة والميرة[2]. وكذلك في المعجم الوسيط "السيرة" : السُنة والطريقة والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره والسيرة النبوية وكتب السير مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة[3].

والسيرة بهذا المعنى الذي أوردته المعاجم اللغوية يبدو محدودا جدا على المستوى الدلالي للمصطلح، فهي لا تفيد في تحديد مفاهيم كالسيرة الشعبية والسيرة الذاتية ... وامتدت هذه المحدودية حتى المعاجم الحديثة ففي معجم المصطلحات العربية "السيرة" : (تاريخ مدون لحياة شخص، فن ترجمة الحياة لشخص ما، الجنس الأدبي لقص ترجمات الأشخاص)[4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج4، مادة (س.ي.ر) ص 390.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط ، ص 412.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: ص 467.

[4] مجدي وهبه،كمال المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،ص205.

أما مدلولها التاريخي فهي تصوير لحياة شخصية من الشخصيات التاريخية المعروفة تصويرًا يتتبع التطور الزمني لصاحب الشخصية ويلقي الأضواء على ما مر به من أحداث لها ارتباطات معينة إما بصاحب السيرة ككل وإما بناحية خاصة من نواحي حياته السياسية أو الثقافية ...[1].

بينما المدلول الاجتماعي للسيرة أخذ معنى الحكاية القصصية أكثر من الحقائق الواقعية ... فالاصطلاح الشائع أن فلانا يتحدث في "سير الناس" معناه أنه لا ينقل عنهم أحداثًا واقعية مجردة وإنما ينتقي منها المثير والغريب والشاذ ثم يضيف إليه من تخيلاته ما يجعله أقرب إلى القصة المختلقة أو الخيالية، ومن ناحية أخرى فإن لفظة (سيرة) ربما أخذت معنى الأخلاق والسلوك الاجتماعي، فنقول فلان حسن السيرة وفلان سيء السيرة لتحدد مدى رضى الناس عنه أو غضبهم عليه من الناحية الاجتماعية أو لنقدر مدى قدرته على التكيف مع مجتمعه[2].

- أدب السيرة: هو أدب يحكي حياة شخص بارز أو جماعة قليلة العدد تتبع ذلك الشخص ومع أن أدب السيرة أدب إلا أنه أكثر ميلا للتاريخ فقد كتب عدد من شخصيات العالم تاريخ حياتهم على شكل سيرة. وهو أدب قديم عند العرب وغير العرب، وكان عدد من الأدباء العرب يختمون كتاباتهم بسيرة ذاتية لحياتهم وكثيرًا ما تفيد كتب السيرة الأدبية في معرفة جوانب من الحركات الأدبية والسياسية مما لا يظهر أحيانا في كتب التاريخ أو الأدب... وتعدُ كتب السيرة النبوية منطلق أدب السيرة وهي دليل بالتالي على قدم هذا اللون[3].

أما مصطلح السيرة الشعبية فقد أطلق منذ النصف الأول من القرن العشرين على مجموعة من النصوص القصصية الطويلة التي تولدت في مجال المشافهة ورواها رواة منشدون في ساحات المدن العربية الكبرى في المجالس والأرياف قبل أن تخرجها المطابع الحديثة . ومصطلح السيرة ينبئ استعماله طي النصوص بتأثر الرواة الشعبيين أو على الأقل المؤلفين الأوائل بأدب السيرة في الثقافة الإسلامية وخاصة أن السيرة الشعبية

[1] مرسي الصباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، د ط، دار الوفاء، الإسكندرية، د ت، ص 41.

[2] المصدر نفسه ، ص 42.

[3] ينظر:محمد بوزواوي، معجم مصطلحات الأدب، د ط، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009، ص 21.

تحمل اسم بطلها وتروي قصة حياته من الولادة إلى الوفاة، وهو أحيانًا كثيرة شخصية تاريخية وردت أخبارها في كتب التاريخ والسيرة والأدب مثل عنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن ... ويتجلى تأثير السيرة الشعبية بأدب السيرة في عناصر أخرى من أبرزها ابتداؤها هي أيضا ببيان النسب وذكر النبوءات المبشرة بميلاد البطل ومجده وقيام المسار الحدثي على صراع البطل من أجل تحقيق أهدافه ،وما كان منتظرًا منه ولكن ذلك لا يعني أن السيرة الشعبية قد أفادت من نصوص السيرة وحدها فأخبار الجاهلية وأيامها وأخبار الفتوح وقصص فرسانها قد مثلت روافد مهمة استقى منها الراوي الشعبي عناصر لتشكيل الأجواء الملحمية التي صورها، وقد استند أيضا إلى تراث شفوي ومكتوب من الخرافات والحكايات الشعبية المليئة بالجن والسحر وقصص الأنبياء والأولياء والصالحين وكراماتهم[1].

وينتمي أدب السيرة الشعبية إلى ما يسمى بأدب البطولة وتعود نشأته إلى فترة ظهور النظام الاجتماعي القبلي، عندما ظهر البطل – الإنسان – بعدما أفسحت له آلهة الأساطير حيزًا لممارسة الفعل البطولي، فحقق بذلك البطولة الملحمية التي عبرت عن موقف ثمل بالحياة، وإرادة لا تقهر في تغيير شروط الوجود البشري ونقلت الحياة البشرية من طور إلى طور، ظلت هذه البطولة مجسدة من خلال الملاحم وأدب السير الذي تنتمي إليه سيرنا الشعبية ويمثل أدب السير إذن حلقة وصل بين الماضي والحاضر ويمجد القدرة الخالقة للحضارة والتاريخ، يوهم رواته المستمعين بأنهم ينقلون أحداثًا ووقائع تاريخية، وهم في الحقيقة يبنون نماذج إنسانية تستند على واقع معاش، لكنها تتجاوزه لتصبح صانعة للتاريخ وموجهة للمصائر. ويعتمد أدب السير على السرد القصصي الذي يزاوج بين النظم والنثر. يُصَوِرُ وقائع كبرى تاريخية تخص الجماعة التي تتداوله، تعامل روايته معاملة الطقوس الدينية و تعبر عن وفاق بين القوى التي ينتمي إليها البطل والقوى العلوية وتتدخل القوى الخارقة لمناصرة البطل أو لمحاربته[2].

[1] ينظر:مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ص 264.

[2] عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 46.

ثانيا : علاقة السيرة الشعبية بالأجناس الأدبية الشعبية الأخرى:

لتحديد مفهوم السيرة الشعبية بشكل أدق وبعد الاطلاع على معظم البحوث العربية التي خصت جنس السيرة الشعبية بالدراسة نجد أنها تضعنا أمام صعوبة تحديد مفهوم خاص للسيرة الشعبية نظرًا لتداخلها مع مفاهيم أخرى تشترك معها في بعض الخصائص مثل: الملحمة والأسطورة والحكاية الخرافية والقصص الشعبي بشكل عام...بل يمتد الخلط ليشمل حتى الأجناس الأدبية المعاصرة مثل: الرواية. لذلك نجد أن معظم الباحثين يطلقون على السيرة الشعبية مصطلح الملحمة بينما البعض الآخر يطلق عليها الأسطورة وهكذا. فعند دراستنا لسيرة سيف بن ذي يزن مثلا نجد أن الباحثين الذين تناولوا السيرة بالدراسة يختلفون في تصنيفها و تسميتها فهناك من يطلق عليها الملحمة و هناك من يدرجها ضمن الأسطورة وهكذا...

فما هي أوجه التشابه بين جنس السيرة الشعبية وباقي الأجناس الأخرى؟ وما هي الحدود الفاصلة بينهما؟

وسنحاول من خلال هذا المبحث عرض بعض وجهات النظر حول مختلف التسميات التي أطلقت على جنس السيرة الشعبية، وأهم الفروق الجوهرية التي تفصلها مع باقي الأجناس المتشابهة معها بشكل مختصر حتى نصل إلى مفهوم يميز جنس السيرة الشعبية عن غيره من الأجناس.

1- علاقة السيرة الشعبية بالملحمة:

الملحمة اصطلاحًا هي: "قصة شعرية طويلة ذات اهتمامات بطولية وقد تكون الملحمة مدونة أو شفاهية، كما قد تجمع بين الخصيصتين أو المجالين ... وعادة ما تولد الملحمة من التقاليد الأدبية الشفوية"[1].

وهناك من الدارسين من أطلق مصطلح "الملحمة" على السيرة بل وزاد الأمر أن قام البعض الآخر وأجرى دراسات حول السير والملاحم ولم يفرق في هذه الدراسات بين مصطلح الملحمة والسيرة فمثلا

[1] شوقي عبد الحكيم ، موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، ط 1، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ص 622.

نجد الدكتور عبد الحميد يونس – في معجم الفولكلور – يقول "لقد عكف عدد من المتخصصين في المجتمعات العربية على دراسة أدب الحروب وأبطالها على مدى التاريخ العربي، وأيام العرب تركيزًا لما لا يزال يتردد في الوجدان الشعبي العربي وإن غلب مصطلح السيرة على الملحمة، والمحور الرئيسي الذي يميز الملحمة الشعبية هو الصدور عن الوجدان الشعبي..."[1].

كما نجد محمد رجب النجار في كتابه "الأدب الملحمي في التراث العربي" يمزج بين السيرة الشعبية والملحمة في قوله :"نقصد هنا بالأدب الملحمي العربي مجموع ما يعُرف – تداوليًا – في البيئات الثقافية الشعبية العربية باسم السير ومفردها سيرة باعتبارها خطابًا أدبيًا سرديًا مجهول المؤلف، متواترا بالرواية الشفوية عبر الأجيال ويحكي بطريقة سردية سيرة حياة بطل أو بالأحرى الماضي الجميل للأمة العربية من خلال تأريخها لحياة هذا البطل، والتغني بمآثره البطولية العسكرية والقومية والدينية والسياسية والأخلاقية والإنسانية على النحو المثالي، وتعكس من خلالها أحلام المجتمع الشعبي وتصوراته، كما تعكس أيضا رؤية الضمير الجمعي العربي لنفسه وللعالم وللكون عبر تلك النصوص بين ما هو كائن وما يجبُ أن يكون. وهذا التأريخ في حقيقته مزيج من الوقائع التاريخية والمبالغات الميثيولوجية"[2].

وقد فرق شوقي عبد الحكيم بينهما في قوله "إن كليتيهما في معظم الأحوال موضوعهما الجوهري هو الحروب والأحداث الجلل من حصارات وهجرات وخوارق وبطولات وفروسية...اللهم إلا الاختلاف الوحيد بين السيرة والملحمة في الصياغة حيث تجنح لغة السيرة إلى الرواية وضوابطها التي تسرد بالحكي القصصي أو الروائي النثري دون أن يخلو الأمر طبعًا من الشعر وإنشاده ... وهو ما يخالف الملحمة التي قوامها الشعر الغنائي أو الإنساني دون أن يخلو الأمر من حيث الصياغة اللغوية الروائية"[3].

ونلاحظ من خلال هذه المقولة أن الفرق الجوهري يتمثل في الصياغة حيث أن الملحمة قوامها الشعر بينما السيرة الشعبية قوامها النثر ثم يعرض الباحث أن الفارق بينهما قد يكون أقوى من ذلك

[1] مرسي الصباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 33.

[2] محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، د ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2006، ص 21.

[3] مرسي الصباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 34.

التشابه، فالملحمة في صورتها الهوميرية تدور حول فكرة أولية عميقة هي صراع البشر ضد الآلهة الذين كانت تمتلئ بهم الديانة اليونانية القديمة. أما السيرة الشعبية فإنها تبتعد تماما عن هذه الفكرة العقائدية[1] وهذه الآراء أيدها د. محمود ذهني في قوله: "إن السيرة والملحمة يختلفان تماما من حيث الشكل كما أنهما يختلفان من حيث المضمون ... الأمر الذي يجعل إطلاق اسم الملحمة على السيرة الشعبية عملا بعيدًا عن الموضوعية والدقة"[2] كما يرى أن الفرق الأساسي بينهما يتمثل في أن أبطال الملاحم يقفون في بعض الأحيان أمام إرادة الآلهة ويتغلبون على قوتها الخارقة أحيانا، ويدخلون معها في معارك أحيانا أخرى بينما بطل السيرة الشعبية لا يقف إطلاقًا أمام الإرادة الإلهية، بل إن هذه الإرادة تنفذ وتتم وإن تعارضت مع إرادة البطل[3].

فإذا كان الشكل هو أحد ملامح الملحمة فإنه يمكن القول بشكل أو بآخر إن الملحمة تختلف عن السيرة الشعبية العربية من حيث الشكل على الأقل؛ فالسيرة الشعبية التي سنتناولها بالدراسة في هذا البحث تحديدًا تحتوي على الكثير من المقاطع الشعرية ولكن حذفها لن يؤثر على بنية السيرة إلا تأثيرًا طفيفًا وهذا ما يجعلنا نرفض إطلاق اسم الملحمة على السيرة.

2- علاقة السيرة الشعبية بالأسطورة:

عند اطلاعنا على كتاب "الميثيولوجيا عند العرب" لعبد المالك مرتاض نجد أنه لا يُفَرِقْ بين السيرة الشعبية والأسطورة حيث يدرج مفهوم السيرة الشعبية التي أطلق عليها اسم الحكايات الشعبية ذات الأصول التاريخية ضمن مفاهيم الأسطورة حيث يعرف السيرة الشعبية بأنها "قصة شعبية خارقة تقوم على أساس تاريخي"[4].

[1] مرسي الصباغ،القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 35.

[2] فاروق خورشيد،محمود ذهني،فن كتابة السيرة الشعبية ، ص 36.

[3] المرجع نفسه، ص 45.

[4] عبد المالك مرتاض، الميثيولوجيا عند العرب، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 15.

ولتحديد الفروق بين السيرة الشعبية والأسطورة وبعد الإطلاع على بعض الدراسات التي عنيت بدراسة الأسطورة ارتأينا هنا تثبيت مفهوم للأسطورة عرضه الباحث "فراس السواح" الذي وضع مقدمة مهمة قبل طرح تعريف للأسطورة عين فيها المعايير الدقيقة التي تميز النص الأسطوري عن غيره من النصوص حيث يخلص إلى عدة نقاط نقتبس منها التالي:

1- من حيث الشكل الأسطورة هي قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي من حبكة وعقدة وشخصيات مصاغة في قالب شعري يساعد على سرعة تداولها وحفظها ويزودها بأثر على العواطف والقلوب.

2- يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن وتتناقله الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيحائية بالنسبة للجماعة، دون أن يعني ذلك الجمود أو التحجر، فالفكر الأسطوري قادر على خلق أساطير جديدة أو تجديد الأساطير نفسها أو تعديلها.

3- لا يعرف للأسطورة مؤلف معين لأنها ليست نتاج خيال فردي، بل ظاهرة جمعية يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها.

4- تؤدي الآلهة وأنصاف الآلهة الأدوار الرئيسية في الأسطورة فإذا ظهر الإنسان على مسرح الأحداث كان ظهوره مكملا أو ثانويًا لا رئيسيًا.

5- ترتبط الأساطير ارتباطا وثيقًا بنظام ديني معين، وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه بحيث أنها تفقد كل مقوماتها إذا انفصلت عن هذا النظام، وتتحول إلى شيء آخر ليس بالأسطورة.

6- تتمتع الأساطير بقدسية وبسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم.

وبهذه المقدمة يخلص الباحث إلى التعريف التالي للأسطورة فيقول "إن الأسطورة هي حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان"[1] كما نجد أن

[1] قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية، الأسطورة توثيق حضاري، ط 1، دار كيوان، دمشق، 2009، ص 24.

"الأسطورة هي حكاية تقليدية ثابتة ومقدسة ومربوطة بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال ولا تشير إلى زمن محدد بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الآلهة، لا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي"[1] كما أن "الأسطورة تروى تاريخا مقدسا، تروي حدثا جرى في زمن البدئي، الزمن الخيالي، هو زمن (البدايات) بعبارة أخرى تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود إذن هي دائما سردًا لحكاية خلق"[2]

من خلال ما تناولنا من مفاهيم حول الأسطورة سوف نحاول أن نقارن مكونات الأسطورة بالسيرة الشعبية فنجد أنه وبالرغم من أن السيرة الشعبية تتفق مع الأسطورة في العديد من الجوانب خاصة الشكل فكلاهما قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي (إلا أن صياغة السيرة الشعبية عادة في قالب نثري يتخلله الشعر)، والحفاظ على ثباتهما عبر فترة طويلة من الزمن، وتتناقلهما الأجيال وكلاهما مجهول المؤلف ... غير أن هناك فروق جوهرية فكما عبر فاروق خورشيد بقوله "إن السيرة الشعبية استمدت بعض مادتها مما تبقى من أساطير ولكنها ليست نفسها أسطورة من الأساطير"[3] وحدد في موضع آخر الفرق بينهما قائلا "إن الفرق الأساسي بينهما أن بطل السيرة لا يقف إطلاقا أمام إرادة الآلهة بل إن هذه الإرادة تنفذ وتتم وإنْ تعارضت مع إرادة البطل والبطل أمامها عاجز مشلول"[4]. ونفهم من خلال هذه المقولة أن الاختلاف يكمن في أن بطل السيرة الشعبية يختلف عن بطل الأسطورة في كون الإنسان هو البطل الرئيسي بينما الآلهة إن وجدت فدورها مكمل لعمل البطل، كما يكمن الاختلاف في أن موضوع السيرة الشعبية يدور في الغالب حول بطل تسرد وقائع حياته وكيفية تحقيق أهدافه، بينما تركز الأسطورة على مواضيع الخلق والأصول والبدايات.

[1] خزعل الماجدي، متون سومر (التاريخ، الميثيولوجيا، اللاهوت، الطقوس)، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 1998، ص 60.

[2] المرجع نفسه، ص 60.

[3] فاروق خورشيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية، ص 42.

[4] المرجع نفسه، ص 35.

3- علاقة السيرة الشعبية بالقصص الشعبي:

يمتد الخلط بين المصطلحات ليشمل القصص الشعبي حيث جمع الكثير من الدارسين بينهما في فن واحد فيقول د. فؤاد حسنين في كتابه "قصصنا الشعبي": "قصصنا الشعبي هو مرآة تتجلى فيها صور هذا الماضي البعيد الذي لازم الإسلام قبل ظهوره وبعد انتشاره ومازال يلازمه حتى يومنا هذا .فقد كان هذا النوع من الأدب الشعبي حتى وقت قريب من أحسن أنواع المحاضرات العامة التي ابتدعت لتدريس القوم تاريخهم الإسلامي..."[1] فهو قد جمع القصص والسير الشعبية في إطار واحد دون تفريق.

بينما عرض الباحث حلمي بدير في كتابه "أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث" إلى الفروق بينهما حيث يرى أنه لابد من تحديد السمات المميزة للفنيْن فهو يرى أن "السيرة الشعبية تاريخية في المقام الأول تعكف على التاريخ لتستخلص مادتها منه سواء من تاريخ اليمن كسيرة الزير سالم أم الملك سيف بن ذي يزن أو تاريخ الأدب الجاهلي كسيرة عنترة بن شداد العبسي أو تاريخ القبائل العربية كسيرة بني هلال أو تاريخ مصر في عصر المماليك كعلي الزيبق والظاهر بيبرس، والسير الشعبية تحرص على الهدف التاريخي ولا تتحول عنه حتى نهاية السيرة، وأبطالها يتحولون إلى أبطال قوميين أو بمعنى آخر يتحولون إلى نماذج بطولية يضرب بها المثل ويقتدى بها في الشجاعة والبسالة والإقدام والفروسية" أما "القصص الشعبي فهو يصور في أغلبه الصراع من أجل استمرار الخير من الحياة اليومية بطلها إنسان عادي بسيط فقير ... وهو قصص يجد آذانًا مصغية على كافة المستويات كآذان الشباب والشيوخ والنساء والبنات بينما تجتذب السيرة جمهور الرجال في حلقات تثير الحماسة والحمية في سهرات وقد يكون لها أهداف أخرى غير ذلك، وهي عادة ما تحمل تضمين حال العصر أكثر من غيرها"[2].

[1] فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1992، ص 143.

[2] حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء، الإسكندرية، 2002، ص 53.

4- علاقة السيرة الشعبية بالرواية:

يرى فاروق خورشيد ومحمود ذهني أن السيرة الشعبية تخرج عن المعنى العلمي الاصطلاحي المعروف لكلمة "سيرة" إلى ما يقرب تدريجيا نحو اصطلاح حديث آخر هو اصطلاح "الرواية"، فالرواية عمل يجمع بين ذاتية الفنان وبين موضوعية التناول أكثر مما يجمع أي عمل آخر من الأعمال الفنية... فالسيرة الشعبية تقترب كثيرًا من الرواية التاريخية فهي تسير معها في تسلسل الأحداث ونماء الشخصيات واستقلال كل شخصية عن الأخرى وارتباط هذه الشخصيات والأحداث جميعًا بمضمون واحد يحقق بذاته عند الكاتب، كما يتفق معه في محاولات تحليل وتعليل الأحداث وإظهار قوى الشر في تصارعها مع قطاعات متعاقبة نامية تصل إلى القمة قبل أن يضع المؤلف حلها بين يدي القارئ[1].

ومن وجهة نظرنا إن الباحثيْن بالغا في صلة القرابة بين السير الشعبية والرواية، فالبرغم من التشابه إلا أن لكل منهما طبيعتها التي تميزها عن الأخرى "فالرواية ليست امتدادا للسيرة فحسب بل هي تطوير لها أيضا ... فالرواية جنس أدبي جديد توالد عن السيرة عبر إعادة صياغة مكوناتها وخصائصها"[2].

ويؤيد هذا الرأي أحمد شمس الدين حيث يرى أن "السيرة فن نبت وتطور وارتقى قبل أن تظهر الرواية وهي تقف فنًا قائمًا بذاته من بين الأنواع الأدبية، مثله في ذلك مثل الرواية وغيرها من الأنواع الأدبية فإضافة لفظ رواية لعمل له قوانينه الخاصة التي استقرت بعد إضافة بعيدة عن الموصوف؛ فالرواية فن لم يستقر بعد له عدة سمات في دينامية وتطور، يشترك في تحريك هذا التطور الآداب العالمية بصلاتها الوثيقة ببعضها والسيرة الشعبية فن له قواعده ولا يمكن تطبيق قواعد فن لم يكتمل على فن اكتمل منذ أمد بعيد"[3]. ويرى عبد المالك مرتاض سبب هذا الخلط بين المفاهيم أن "المستعملين للغة العربية في

[1] فاروق خورشيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية، ص 49.

[2] محمد رياض، توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص 86.

[3] خطري عرابي، البناء الأسطوري للسيرة الشعبية سيرة سيف بن ذي يزن إنموذجا، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الجيزة، 2009، ص 17.

مألوف العادة يلبسون معنى الخرافة بمعنى الأسطورة ومعنى الأسطورة بمعنى الحكاية الشعبية ذات الأصول التاريخية ويعودُ ذلك في رأينا إلى قصر التجربة النقدية العربية حول هذه المفاهيم"[1]

- نستخلص من خلال ما قلناه أن السيرة الشعبية هي فن قصصي له خصائصه التي تجعله يختلف عن جميع أنواع القص العربي وإن كان يشترك معه في بعض الجوانب، فهي ليست أسطورة أو حكاية خرافية على الرغم من الإغراق في الخيال، وهي ليست قصة شعبية كما أنها ليست رواية بالمفهوم الحديث للرواية فالسيرة الشعبية "فن مستقل بذاته وله بناؤه الفني الخاص به وله أهدافه الفنية والاجتماعية والسياسية التي استقل بها وتميز"[2].

- **مفهوم السيرة الشعبية:**

من خلال ما تقدم عرضهُ حول علاقة السيرة الشعبية بباقي الأجناس الأدبية المشابهة لها وتحديد الفروقات الجوهرية بينهما، وما سبقه من مفاهيم حول السيرة نحاول أن نخلص إلى تعريفات تميز مفهوم السيرة الشعبية عن غيرها من الأجناس:

-فيعرفها محمد رجب النجار بقوله: "السير الشعبية هي جنس أدبي قائم بذاته، عماده السرد القصصي – شعرًا ونثرًا – بالغ الطول، مجهول المؤلف يروى أو يؤدى شفاهيًا ويحكي – من منظور جمعي – الماضي القومي للشعوب وتاريخ الأبطال – الحقيقيين أو الخياليين – ومآثرهم العسكرية والقومية"[3] وترى نبيلة إبراهيم "أن أدب السيرة الشعبية يُعد مزيجًا من العلم والخيال فهو علم بقدر ما يعتمد على الواقع وهو خيال بِمِقدار ما يلعبُ فيه الخيال في رواية كثير من الأخبار بخاصة تلك التي استمدت من العصور الجاهلية"[4].ونلاحظ أن هذا التعريف خاص بالناحية الشكلية للسيرة أما مضمونها ووظيفتها نجد:"إن السير الشعبية بقصصها وحكاياتها هي في معظمها ردود على مشكلات نفسية واجتماعية

[1] عبد المالك مرتاض، الميثيولوجيا عند العرب، ص 16.

[2] فاروق خورشيد، أدب السيرة الشعبية،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2002 ،ص 44.

[3] محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، ص 22.

[4] نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، د ط ، دار المريخ، 1985، ص 134.

متقاربة المضمون والهدف، وتؤدي وظائف اجتماعية وتربوية تتوجه إلى أكثر من قطاع في الحياة العامة وهي منغرسة في اللاوعي الجماعي نظرًا للتفسيرات والتبريرات التي تقدمها لسامعها ليس ذلك فقط بل تؤدي أدورًا وطنية وسياسية نضالية عندما تكون ملجأ لشعب أو أمة في مراحل الضعف والركود أو الوقوع تحت نير احتلال خارجي"[1] كما يرى عبد الحميد يونس أن "إقبال الجماهير الشعبية على هذا القصص إنما يبعث عليه الحاجة إلى الموازنة النفسية بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون، بين واقع مرير مكدود وبين حلم يعتصم بالمثال الذي قُدِرَ له أن يُخلِصَ الأجسام والنفوس والأرواح من الظلم والاستعباد"[2]. ولإنشاد السير الشعبية تقاليد شبه ثابتة وصفها الباحثون وفيها يقوم المنشد بقراءة جزء من أجزاء السيرة في مكان ما وقد ترافق القراءة مقاطع موسيقية على بعض الآلات كالربابة والحوزة وكانت هذه التقاليد معروفة على نطاق واسع إلى منتصف القرن العشرين في كثير من المدن العربية يحث فيها المنشد (الذي يُعد هنا راويًا) مستمعيه للمشاركة الوجدانية في الأحداث التي ينشدها ولا يلتزم حرفيا بالمرويات المدونة خطيًا لديه إنما يتصرف بما يروي تبعا لحالة الانفعال التي يثيرها في المتلقين ويستعين أحيانًا – لتعميق الإحساس بصدق الواقعة – ببعض قطع السلاح كالسيف فيومئ به طاعنا مساعديه الذين يقومون برفقته في بعض المقاطع بتحويل الرواية إلى مقاطع لتمثيل الأحداث ولما كانت متون السير ضخمة كان الإنشاد يستمر عدة أشهر يستأنف فيها المنشد كل مساء الإنشاد من حيث انتهى في الليلة الماضية. وكانت مهنة الإنشاد وراثية تعتمد على المشافهة[3].

ثالثا : تشكل السير الشعبية والدوافع الكامنة وراء انتشارها وتداولها:

السيرة الشعبية فن أدبي أبدعته العقلية العربية في فترة من فترات تاريخها، مثلها في ذلك مثل أي نوع أدبي ينشأ نتيجة لتطور المجتمع ليلبي حاجة هذا المجتمع الذي أفرزه، وعن كيفية تشكل السيرة الشعبية يقول عبد الله إبراهيم: "إن الغموض يحيط بالأشكال الأولى لها فضلا عن الأسباب الكامنة وراء ظهورها

[1] إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، ط 1، الدار العربية، 2008، ص 83.

[2] عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، د ط، دار الكتاب العربي، د ت، ص 56.

[3] عبد الله إبراهيم، السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000، ص 158.

ذلك أن التدوين المتأخر الذي قام به بعض منشدي هذه السير لا يقدم إلا صورة لعصر أولئك المنشدين". وهذا ما جعل بعض الباحثين يعللون ظهورها بأنه نوع من استحضار الماضي المجيد لمواجهة عصر انحصر فيه الدور العربي، وأوردوا أسباب أخرى تهدف جميعًا إلى تعليل أسباب ظهور هذا النوع المتميز من السرد العربي، فيرجع أندريه ميكال ظهور السير الشعبية إلى تعلق الجماعة الإسلامية بذكرياتها ذلك أن أبطالها يحيلون على أولئك الرجال العظام الذين عرفهم التاريخ العربي، أما عبد الحميد يونس فَيَعْزُوُ ظهورها إلى "اهتزاز الوجدان العربي بسبب الحروب الصليبية، مما دفعه إلى أن يعتصم بعصر البطولة الذي مثله أبطال لهم شأن في صلب ذلك الوجدان"[1] وإذا كان ميكال ويونس يذهبان إلى أن ظهور السير سببه عوامل نفسية وحضارية فإن بعض الباحثين الآخرين يرون أن ذلك يعود إلى أسباب أدبية، إذ يقول فاروق خورشيد "إن ظهورها يعزي إلى الحاجة إلى ظهور شكل إسلامي للتعبير الأدبي ليبعده عن مظان الارتباط بالأشكال الأدبية المنحدرة من الأسطورة الوثنية القديمة" فيما يرى عادل البياتي "أن ظهورها يرجع إلى البذور التي أوجدتها أيام العرب وما احتوته من أخبار كثيرة"[2].

يصعب في واقع الحال تقرير صحة أي من هذه الآراء فكل منها يمكن أن يكون سببًا وراء ظهور السير الشعبية.

وقد كان الباحث المصري "عبد الحميد يونس" قد بين في كتابه الموسوم بـ"الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي" أن الملاحم العربية قد ظهرت في عصر البطولة العربية، وعصر البطولة هذا هو الذي التقى فيه الشعب العربي بالغرب، في فترة الحروب الصليبية، فاهتز الوجدان العربي واحتمى بالبطولة فاختار أبطاله من تاريخه البعيد والقريب من "عنترة" إلى "الظاهر بيبرس" ولما كان هذا الأخير غير عربي لم يتأخر الشعب العربي عن إعطائه مسحة عربية[3]. ولم يخرج "شوقي عبد الحكيم" عن هذا الإطار فأكد أن

[1] ينظر : عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص 155.

[2] المرجع نفسه، ص 155.

[3] أمينة فزاري، سيميائية الشخصية، ص 26.

"العناصر القومية المشتركة في فولكلورنا العربي على المستوى القومي واضحة في السير والملاحم أكثر من غيرها لأنها نشطت في مواجهة الأخطار والاعتداءات"[1].

- وعن الدوافع الكامنة وراء نشاط الرواية الشفوية للسيرة الشعبية تقول نبيلة إبراهيم:

إن السير الشعبية وعلى رأسها سيرة عنترة وسيف بن ذي يزن والظاهر ببيرس وسيرة الأميرة ذات الهمة وسيرة بني هلال، قد ظلت تروى لزمن قريب لعدة أسباب:

1- إن هذه السير تمجد البطولة العربية التي حاولت أن تنصر الإسلام والعرب ضد كل عدو مناوئ.

2- إن هذه السير اختزنت كل مواد التراث الشعبي العربي من أخبار وروايات ومعتقدات إلى غير ذلك.

3- صورت السير، فضلا عن تصوير البطولة ،الحاكم الصالح من وجهة نظر الشعب، كما كان يتمناه الشعب ويحلم به، ولم يكن هذا الحاكم سوى فرد من أفراد الشعب ظهر فيه وأحس بآماله وآلامه وحقق له كل ما كان يطمح إليه من عدل اجتماعي ورقي سياسي.

4- نادت السير الشعبية بقيم أخلاقية يحبها الشعب، ويرفع من يتصف بها إلى مستوى ابن البلاد المحبوب لديهم.

- فالسيرة الشعبية – في نظرها – إذن لسان حال الشعب العربي وصوت الأمة العربية التي تطمح إلى بناء دولتها المثالية الأنموذجية ،وتسعى جاهدة إلى رسم ملامح مدينتها الفاضلة وتتمنى تحققها في الواقع فهي تقول: "لهذه الأسباب عاشت السير الشعبية في ضمير الشعب العربي وظلت تروى عبر السنين الطويلة"[2].

وهذه العوامل هي نفسها – تقريبا – التي أوردها "سعيد يقطين" في كتابه الموسوم بـ(الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي) فقد بين أن ظهور الرواية الشفوية للسير الشعبية العربية ونشاطها مرتبط

[1] شوقي عبد الحكيم، السير والملاحم الشعبية العربية، ط 1، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1984، ص 13.

[2] نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص 121.

باتساع رقعة الدولة الإسلامية واحتكاك العرب بغيرهم من الأجناس الداخلة في الإسلام (بخاصة منهم الفرس) فكان العربي يبحث عن هويته الثقافية الحقيقية في ظل الصراع (الظاهر/الخفي) بين العنصر العربي وبقية العناصر الداخلة في الإسلام (فرس – رومان – هنود – يهود ...) كما كان للحروب الصليبية بالغ التأثير في تبلور الظاهرة لأنها أنجبت صراعًا آخر هو الصراع الديني بين المسلم والمسيحي وكان عصر النهضة عاملا مهمًا كذلك، لأنه عمق – على حد تعبيره –الإحساس بالتأخر حيال التقدم الذي يمثله الغرب المسيطر والمحتل فراح العربي يبحث عن مقومات الذات القومية العربية المفتقدة[1].

وكان سبب لجوء الناس إلى الاستماع إلى السير الشعبية تبعًا لعدة اعتبارات نوجز منها التالي:

1- معرفة أحوال من سبق من البشر وأساطيرهم وبطولاتهم وملاحمهم.

2- التأثر بالحكايات والقصص وسير الأنبياء والمرسلين وربطها بما ورد في الكتب السماوية وخاصة التوراة والإنجيل والزبور والقرآن.

3- المتعة والتسلية وهم يستمعون لذلك.

4- التأثر ببطولات السابقين والقيام ببطولات مشابهة والعمل على الانتصار في أية معركة يقومون أو يُطلبُون إليها[2].

رابعا :ملامح عامة حول السيرة الشعبية:

من خلال ما تقدم من مفاهيم نحاول أن نرْصد جملة من الملامح العامة لجنس السيرة الشعبية التي تميزها عن باقي الأجناس البطولية الأخرى:

1- إن كاتبُ السيرة إما فرد أو مجموعة أفراد يكونون ما يشبه اللجنة ويطبعون عملهم بطابع موحد مميز.

[1] أمينة فزاري، سيميائية الشخصية، ص 25.

[2] حسين سالم، في التراث الشعبي اليمني، ط 1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1993، ص 330.

2- إن هناك قواعد فنية مدروسة لكتابة السيرة تتمثل في ربط البطل بالناس إما للقضية التي يمثلها وإما لإيضاح الرمز الذي يعنيه كما تتسم بوضوح الشخصيات الرئيسية والفرعية فيها بحيث تمثل كل منها موقفًا إنسانيًا محددًا، بحيث يخدم هذا التحديد العمل من ناحية الموضوع ومن ناحية المضمون معًا[1].

3- إن السير لا تكتب للحكاية والتسلية وإنما تكتب للتعبير عن أهداف معينة يقصد الكاتب إليها قصدًا ويختار لها القالب الروائي لتكون أكثر صلة بضمير الناس، وليسهل عليه إيصال ما يريد إلى قلوبهم.

4- استخدمت السير الشعبية ما يمكن أن نسميه بأحدث أساليب الإقناع، وذلك أنها قدمت الأحداث القصصية مستندة إلى واقع حقيقي ومنتهية بنتائج عملية فكان اعتمادها على الإقناع العقلي العملي من خلال الاقتناع العاطفي الوجداني له أثر مضاعف ومباشر[2].

5- بطل السيرة صاحب رسالة هي دائمًا رسالة الحق، وأنه يصارع دائمًا الشر، وأنه ينتصر دائما على هذا الشر في كل صوره، وبطل السيرة ليس غريبا عن البيئة العربية فلا بد أن يتصل من حيث نسبه بآدم أو نوح على الأقل، دلالة على عراقة عروبته، وصدق نسبه، وحتى في الحالات التي يكون فيها البطل غير عربي كسيرة الظاهر بيبرس فلا بد من وجود شخصيات تنوب عنه في العروبة وتلعبُ دورًا لا يقل عن دورهُ كمعروف بن حجر في سيرة الظاهر.

6- مواكبة السير الشعبية للمفاهيم الإسلامية الدينية، فالبطل دائما عربي مسلم ينصر دين الإسلام على عبادة الأوثان وعلى غيرها من الأديان، وتؤازره في هذا كل القوى المسلمة سواء في عالم الواقع أم في عالم الخيال.

7- قيام السير الشعبية على أساس خلقي بمعنى أنها تعكس صورة مشرفة للخُلق العربي الإسلامي والمثل العليا العربية الإسلامية إما في تصرفات الأبطال وإما في طريقة سير الأحداث.

---

[1] ينظر : مرسي صباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 46.

[2] ينظر : محمود ذهني، الأدب الشعبي العربي (مفهومه ومضمونه)، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، 1972، ص 110.

8- المرأة أم وأخت وزوجة لها احترامها ولها قيمتها، ولا يمكن أن تبدو في صورة مبتذلة إلا ولقيت جزاءها كأم سيف بن ذي يزن بطل سيرة بحثنا. وكما قال محمد رجب النجار: إن السير الشعبية أعلت من شأن المرأة ورفعت من شأن العلاقة بين الذكورة والأنوثة إلى ما يجبُ أن تكون عليه من سمو إنساني، هو الأصل في طبائع الأشياء، كما خلقها الله[1].

9- تعكس السير قطاعات من مجتمعنا العربي، يمكن بدراستها معرفة الصورة الحقيقية لتكوين المجتمع العربي وحقيقة الصراعات الدائرة حوله.

10- من أهم ما يميز سيرنا الشعبية الكم الهائل من النصوص حيث نجد أن أغلب النصوص تملأ مئات الصفحات وتتكون من عشرات الأجزاء الشيء الذي يجعلها تتشكل من عدة مجلدات فسيرة سيف بن ذي يزن مثلا تتكون من 4 مجلدات وتضم 1511 صفحة تقريبا،وعبد الحميد يونس يقول: "تتسم هذه السير الشعبية بصفة مشتركة هي الضخامة والتسلسل"[2]. كما أنها تحمل ترابط العمل من صفحته الأولى حتى صفحته الأخيرة لا في الموضوع فحسب، وإنما في نماء الشخصيات وتطورها تطورًا طبيعيًا عبر الزمن ومع الأحداث[3]. وتؤكد نبيلة إبراهيم هذا التوجه في دراستها لسيرة ذات الهمة إلى القول أن أسلوب السيرة نجح في تحقيق وحدتها القصصية فإننا نلاحظ السيرة رغم طولها البالغ ورغم استغراقها في حكايات المغامرات والأسفار التي قد تبعد السامع عن غرضها الأساسي، فإنها تحرصُ على التمركز حول هدفها الأصلي[4].

11- السيرة كفن أدبي شعبي يخاطب عامة الناس من مثقفين وغير مثقفين وكان من الطبيعي أن تتوسل إلى جماهيرها بلغة يفهمها الجميع تلك اللغة التي لا يمُجها المثقف ولا يستصعبها الأمي ولهذا فقد جاءت

[1] ينظر:محمد رجب النجار، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، ص 198.

[2] ينظر:سعيد يقطين، قال الراوي،ص 25 – 26.

[3] ينظر:مرسي صباغ، القصص الشعبي العربي في كتب التراث، ص 46.

[4] ينظر:سعيد يقطين،قال الراوي،ص27.

لغتها في درجة متوسطة بين العامية والفصحى وهي بعبارة أحق لغة فصيحة تتخفف من بعض قيود الإعراب[1].

12- السير الشعبية أعمال نثرية إلا ما ندر كالسيرة الهلالية ،وهي بهذا تدخل في فن النثر العربي الذي قصره الدارسون على الرسائل والخطب، وآن أن يدخل فيه الآن فن السيرة الشعبية كما أن استعمال الشعر في السير الشعبية يأتي للاستدلال أو الاستشهاد.وكذلك يأتي كأداة صراع داخل المعركة، إذ يخوض الأبطال معارك كلامية قبل معارك السيف ووسيلته في ذلك الشعر ... واستعمال الشعر في الحوار بين الأبطال أمر شائع في السير الشعبية كلها. وهنا يقف المشهد من الناحية السردية تماما، وتنتقل المسألة كلها إلى عملية حوارية بالشعر. واستعمال الشعر في الحوار هنا له دلالته الفنية في تصوير الصراع وتجسيده، وفي إبراز المعالم النفسية التي يقوم عليها هذا الصراع ويأتي الشعر كذلك على لسان الأبطال لرسم موقفهم من الأحداث أعني أن المؤلف يستعمله للتعبير عن الانفعالات النفسية في المواقف التي يكون الشعر فيها أصدق دلالة وأبعد أثرًا وأشد تأثيرًا. إلا أن الشعر بوظائفه هذه لا يطغى على العمل الأصلي وإنما هو يساعده ويحليه، ولو نزعنا من معظم السير كل ما بها من شعر لما غير هذا من مكانتها القصصية في شيء[2].

[1] ينظر:خطري عرابي، البناء الأسطوري للسيرة الشعبية، ص 213.

[2] ينظر:فاروق خورشيد، محمود ذهني، فن كتابة السيرة الشعبية، ص 202.

الفصل الثاني

الفصل الثاني :

شخصية البطل سيف بن ذي يزن في السيرة الشعبية

تمهيد

المبحث الأول : دورة حياة البطل في السيرة الشعبية .

أولا : شخصية البطل سيف بن ذي يزن بين الواقع التاريخي والعمل الفني .

ثانيا : مراحل حياة البطل في السيرة الشعبية .

المبحث الثاني : دراسة مرحلة حصول البطل على كتاب تاريخ النيل مقاربة سيميائية

أولا: مكونات الوحدة الحكائية (حصول البطل على كتاب تاريخ النيل) من خلال وظائف بروب

ثانيا : البناء العاملي لمرحلة حصول البطل على كتاب تاريخ النيل

المبحث الثالث : مقومات وصفات البطل سيف بن ذي يزن في السيرة الشعبية

أولا : مقومات البطل الشعبي في السيرة الشعبية

ثانيا : صفات البطل الشعبي في السيرة الشعبية

تمهيد:

تنقسم دورة حياة البطل في السيرة الشعبية إلى مراحل بحيث تمثل كل مرحلة وحدة حكائية، تعبر عن لحظة أو فترة زمنية متميزة في حياة البطل، تبرز أفعال البطل وغيره من الشخوص التي إما أن تكون معه أو ضده، وكل وحدة من هذه الوحدات تتكون من عدد من الأحداث والأفعال أو ما يمكن تسميته بالوحدات الوظيفية. والوظيفة هي الوحدة الأساسية للغة القص وهي تشير إلى الأحداث ذات المغزى التي تشكل القص، ولأن السيرة الشعبية تتمحور حول شخصية محددة " صاحب السيرة" البطل الذي تحمل السيرة اسمه وهي الشخصية المحورية باعتبارها الفاعل المركزي ومركز جذب وتوجيه مختلف أفعال باقي الشخصيات، آثرنا من خلال هذا الفصل أن نتعرف على شخصية هذا البطل كما تدوولت في كتب التاريخ ونربطها بالعمل الفني أي بما أبدعه المخيال الشعبي حول شخصيته ثم نتعرف على مراحل حياة البطل في السيرة، لنخص بالدراسة السيميائية مرحلة من مراحل تشكل حياة البطل من خلال تحديد البناء العاملي الخاص بهذه المرحلة المتمثلة في حصول سيف على كتاب تاريخ النيل. لأن كل مرحلة في حياته تمثل خطوة نحو الأمام لتحقيق الهدف الذي يسعى إليه البطل أو الذي كلفه الشعب بتحقيقه، وللوصول إلى ذلك استعنت بالمصطلحات السيميائية السردية فانطلقت من مفهوم الوظيفة باعتبار أن كل عمل حكائي كيفما كان نوعه تحكمه وظيفة مركزية لولاها لما كان من الممكن أن يتكون الحكي فالراوي قبل أن يقوم بخلق شخصياته وأفعالها ومكان تواجدها وزمنه ينطلق من فكرة معينة يريد إبلاغها، هذه الفكرة يمكن تسميتها على غرار السيميوطيقين بـ" المحتوى" أي محتوى الرسالة التي يريد الراوي ايصالها، ويسمى هذا المحتوى بالوظيفة المركزية التي يعرفها رولان بارت بأنها " الوظيفة الأم أو النواة المركزية ويمكن أن تتجلى في فعل واحد مركزي أومن فعلين اثنين ، هذا الفعل المركزي هو بؤرة الحكي"[1].

كما استعنت بمنهج فلادمير بروب المورفولوجي للوصول إلى تلك العلاقات التي تربط الوحدات المكونة للنص حيث يعرف بروب التحليل المورفولوجي بأنه: "وصف للحكايات وفقا لأجزاء محتواها،

1 سعيد يقطين، قال الراوي، ص 35.

وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض ثم علاقتها بالمجموع "[1] ، ثم خلص بروب إلى تحديد إحدى وثلاثين وظيفة لا يمكن للشخصية الحكائية أن تخرج عنها في أية حكاية خرافية روسية عجيبة ثم عمم ذلك على جميع الحكايات الشعبية في العالم[2]، وتعد هذه الدراسة الأساس الذي بنيت عليه معظم الدراسات والاتجاهات التي تناولت تركيب الحكايات من الناحيتين السطحية والعميقة.

وإذا كان شغل السيميائيين متصلا أساسا بمعرفة الدلالات المحتجبة أي تلك التي يتناساها النص أو يذكرها تلميحا لا تصريحا، فاستعنت بأعمال غريماس هذا الأخير الذي استفاد من الاكتشافات التي توصلت إليها الشكلانية الروسية متمثلة في فلادمير بروب فكانت هي الأساس الذي بنى عليه نظريته[3].

فالتحليل السيميائي يقوم على زاويتين اثنين، زاوية سطحية تبرز المكون السردي للشخصيات وتحولاتها ، وأخرى عميقة بتحديد النموذج العاملي والمربع السيميائي[4].

وهذا ما يكشف السبب حول دمج كل من النظرية المورفولوجية البروبية والنظرية السيميائية الغريماسية متمثلة في رصد حركة شخصيات السيرة بواسطة النموذج العاملي ثم المربع السيميائي الذي يعتبر أهم عنصر يدرسه المنهج في البنية العمقية.

ثم عرضنا بعد ذلك إلى دراسة مقومات وصفات البطل التي أبدعها الراوي الشعبي حول شخصيته وقد حاولنا استخراج البعض منها سواء ما تعلق بالقوة الجسدية المتمثلة في مواجهة المخاطر من خلال قوته، أو المعنوية من خلال أخلاقه ومعاملاته ، وقد تلاحمت كل هذه الجوانب لترسم النموذج الأمثل بكل مقوماته وصفاته،.فهو البطل الذي يواجه الصعاب في سبيل تحقيق قيمه ومعتقداته، وهو الذي يمتلك القدرة الفائقة على العمل الدؤوب المنظم بمثالية تثير الإعجاب .

1 نيلة ابراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ، ص 25.

2 أمينة فزاري، سيميائية الشخصية، ص 55.

3 السيد امام، مدخل إلى نظرية الحكي،مؤتمر أدباء مصر،الدورة الثالثة والعشرون، ط1،الأمل للطباعة والنشر،القاهرة،2008،ص:46.

4 ينظر:جوزيف كورستيس، مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية ، تر:جمال حضري ،ط1،الدار العربية للعلوم ،الجزائر،2007،ص 12.

المبحث الأول : دورة حياة البطل في السيرة الشعبية

أولا : شخصية البطل سيف بن ذي يزن بين الواقع التاريخي والعمل الفني .

تعتمد السيرة الشعبية العربية بعامة على جذور تاريخية حقيقية فما من سيرة من السير إلا وتدور حول بطل كان له وجود في التاريخ يومًا ما، قام بأفعال جليلة وخاض حروبًا ومعارك في سبيل قيم سامية مما جعل شهرته تسبقه إلى كل مكان. وهذه الجذور التاريخية تعتبر النواة الأولى التي يقوم الفنان الشعبي ببناء سيرته عليها "فهو يرى في الحقيقة التاريخية شيئًا أشبه بهيكل عظمي فيكسوها بخياله الفني لحمًا وينفخ فيها من روحه الإبداعية الجديدة وإذا بالحدث التاريخي حين يعود إلينا حيًا بفضل الإبداع الفني لا يعود بصورته التاريخية الدقيقة، ولكن في الإطار العام للقيم والمثل والأخلاقيات التي يمثلها الفنان تعبيرًا عن المجتمع الذي أنجبه"[1].

- فالفنان الشعبي يأخذ الحدث التاريخي ويلبسه بخياله وقائع وأحداث معتمدًا في ذلك على بقايا الأساطير والخرافات اعتمادًا كبيرًا وذلك تلبية لحاجة ثقافية ونفسية للشعب صاحب المصلحة.

ولا نفهم من هذا أننا سوف نعتمد على السيرة الشعبية في استنباط الجذور التاريخية لشخصية البطل بل سوف نحاول أن نسرد الأخبار التاريخية للملك سيف بن ذي يزن كما تدوُولِتْ في كتب التاريخ بشكل مختصر دون التوغل في تفاصيل تاريخية كبيرة قد لا تهمنا ،ثم نتعرض بعد ذلك للقضايا الأساسية التي تتناولها السيرة، ونربطها بالأحداث التاريخية التي تشير إليها على مستوى الواقع الذي رويت فيه.

فبطل السيرة الشعبية – كما ذكر في كتب التاريخ – هو سيف بن ذي يزن الحميري وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن عريب بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج، وهو حمير ابن سبأ. وكان سيف يكنى (أبا مرة)[2].

---

[1] خطري عرابي، البناء الأسطوري للسيرة الشعبية، ص 18.

[2] أبو الفداء حافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 1، ط 6، منشورات مكتبة المعارف،بيروت، 1985 م، ص 177.

ولم تذكر لنا كتب التاريخ يوم مولده ولا يوم وفاته ولكن الأحداث التي عاصرها كانت في القرن السادس الميلادي إذ قد عرف كبطل في التاريخ بعدما استطاع أن يطرد الأحباش عن بلاد اليمن. وترجع بداية تلك الأحداث إلى ما فعله ذو نواس (وهو آخر من حكم من ملوك حمير قبل دخول الحبشة إلى اليمن عام 525م)[1] في النصارى باليمن حيث أن الملك الحِمْيري ذا نواس كان على دين اليهودية وكان شديد التعصب ضد المسيحيين اليمنيين الذين قاربوا العشرين ألفا وقد خيرهم بين ترك النصرانية والدخول في الدين اليهودي وبين حرقهم بالنار وقد فضّل معظمهم الموت في سبيل إيمانهم وخصوصًا مسيحي نجران وقد حفر ذو نواس أخاديد في الأرض وأحرقهم فيها وأحرق كتابهم الإنجيل. ويجد المرء ما يوافق تلك الحادثة والعبرة في القرآن الكريم في قوله تعالى: " قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ(6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9) " صدق الله العظيم سورة البروج، الآيات من (4 – 9). وهكذا كان اضطهاد ذي نواس للمسيحيين اليمنيين بسبب إيمانهم بالله العزيز الحميد[2].

ولما قَتَل ذو نواس من قَتَل من أهل اليمن في الأخدود لأجل العَوْدِ عن النصرانية أفلت منهم رجلا يُقال له دوس ذو ثعلبان فقدم على قَيصر فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما فعل بهم، فقال له القيصر: بعدت بلادك عنا ولكن سأكتب إلى النجاشي ملك الحبشة وهو على هذا الدين وقريب منكم فأرسل معه ملك الحبشة سبعين ألفا وأمَّر عليهم رجلا يقال له أرياط وفي جنوده أبرهة الأشرم وجمع ذو نواس جنوده فحاربهم فهزموه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه اقتحم البحر بفرسه فغرق[3].

[1] يوسف محمد عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره بحوث ومقالات، دط،دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1990 م، ص 362.

[2] علي معطي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ط 1، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2004، ص 223.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ط 3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1980 م، ص 253.

- وهكذا دخل الأحباش اليمن ودام حكم أرياط على اليمن عدة سنين ثم وثب عليه أبرهة الأشرم أحد قُواد جيشه، فقتله ومَلَكَ مَكانه وخلال فترة حكمه عاث الفساد، فأذل أهلها واستحل نساءها ولم يقف به الأمر إلى هذا الحد بل أساء إلى رؤساء حِمْير "فبعث إلى أبي مرة ذي يزن فأخذ زوجته ريحانة بنت ذي جدن ونكحها فولدت له مسروقًا وكانت قد ولدت لذي يزن ولدًا اسمه "معد يكرب"[1] – الذي هو نفسه بطل سيرتنا سيف بن ذي يزن –.

- وتعززت المسيحية على يد أبرهة الذي بنى كنيسة في صنعاء، عرفت باسم القُليّس وكتب إلى النجاشي حين انتهى من بنائها قائلا له إني أريد أن أصرف إليها حج العرب ولتحقيق حلمه جهّز حملة للاستيلاء على مكة وهدْم الكعبة الشريفة، ثم كانت قصة هدم الكعبة التي ذكرت في القرآن الكريم بقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)"سورة الفيل من (1 – 5).
وسمي هذا العام بعام الفيل حيث أصيب أبرهة في جسده وكانت أنامله تسقط أنملة أنملة حتى انصدع صدره عن قلبه ومات[2].

- ونفتح هنا مجال المقارنة بين هذه الحادثة وبين ما ورد في السيرة الشعبية من خلال محاولة ذي يزن هدم الكعبة ونقلها إلى مدينته خاصة وأن ذو يزن قد أصابته هو الآخر بأمراض تتمثل في انتفاخ كبير جعله كالفيل وأعجزه عن الحركة ولم يشفى منها إلا حينما أعلن إسلامه وكسا الكعبة. فمن وجهة نظرنا أن هذه القصة التي رويت في السيرة تعتبر صدى من الأصداء الإسلامية الموازية لحادثة عام الفيل أو هي نسج أسطوري على منوالها.

---

[1] ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج2، ص 254.

[2] علي معطي، تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام، ص 228.

* يقول الدكتور عبد المجيد عابدين "كان سيف ابن ذي يزن ممن لعبوا دورًا هاما في هذه الآونة، وهو رجل من أزواء حمير من أسرة عريقة في اليمن وكان للأسرة اتجاه سياسي واحد هو التمسك باستقلال اليمن وانفصالها عن السلطان الأجنبي" نقلا عن فاروق خورشيد، أضواء على السيرة الشعبية، ص 129.

ثم خلف من بعد أبرهة ابنه يكسوم بن أبرهة ثم بعد ذلك أخوه مسروق بن أبرهة، حيث كانت سياسته سيئة للغاية فقد عم أذاه سائر اليمن، ولما طال البلاء على عرب الجنوب توجه سيف بن ذي يزن* أحد أمراء حمير حتى قدم على قيصر ملك الروم وشكى إليه أمر الحبشة وطلب أن يخرجهم ويبعث على اليمن من يشاء من الروم فلم يُجبه إلى ما سأل. فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر – وهو عامل كسرى على الحيرة – وشكا إليه أمر الحبشة فقال له النعمان: إن لي على كسرى وفادة في كل عام فاصبر حتى يكون ذلك، ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك، قال ابن هشام ولما دخل عليه سيف بن ذي يزن طأطأ رأسه، فقيل ذلك لسيف فقال: إنما فعلت هذا لهمي لأنه يضيق عنه كل شيء، ثم قال له: أيها الملك غلبت الأغربة علينا في بلادنا، فقال كسرى: أي الأغربة: السند أم الحبشة؟ قال له: الحبشة وجئتك لتنصرني ويكون ملك أرضي لك قال له كسرى: بَعُدَت أرضك مع قلة خيرها ما كنت لأورط فارس في بلاد الحبشة، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم وكساه كسوة حسنة، فلما خرج سيف نثر ذلك الورق للناس. فلما بلغ ذلك الملك قال: إن لهذا شأنًا، ثم بعث إليه فقال" عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس، فقال: ما أصنع به ما جبال أرضي كلها إلا ذهب وفضة يرغبُه فيها لما رأى من زهادته فيها، إنما جئت الملك ليمنعني من الظلم ويدفع عني الذل فقال له كسرى أقم عندي حتى أنظر في أمرك. وجمع كسرى أهل الرأي ممن كان يستشيرهم في أمره فقال: ما ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له فقال قائل منهم أيها الملك إن في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو أنك بعثتهم معه فإن هلكوا كان الذي أردت بهم وإن ظفروا على بلاده كان ملكا إزددته إلى ملكك فبعث كسرى بمن كان في سجونه معه، وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم وهرز وكان ذا سن فيهم وفضل وحسب وجمع سيف من استطاع من قومه وقال لوهرز: رجلي ورجلك حتى نموت جميعًا أو ننتصر، فقال وهرز: أنصف الرجل، فخرج إليهم يكسوم بن أبرهة بجنوده فأرسل إليهم وهرز ابنا له فقاتلهم، فقُتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقًا عليهم فلما أخذ الناس على مصافهم قال وهرز: أروني ملككم؟ فقالوا له: ذلك الذي على الفيل عاقدًا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة، قال رأيت اتركوه،

ووقف طويلا وقال: أين هو؟ قالوا له: قد ركب البغلة، قال وهرز: بنت الحمار ذَلَ وذُلَ ملكه سأرميه فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا إلى أن أوذنكم فإني قد أخطأت الرجل وإن رأيتم القوم وقد اجتمعوا فقد أصيب فاحملوا عليهم ،ثم أوتر قوسه يقصد الياقوتة التي بين عينيه فنفذت النشابة من الياقوتة وخرجت من قفاه واستدارت الحبشة عليه وحملت عليهم الفرس وقبائل اليمن فانهزموا وقتلوا وهربوا في كل جهة، وعُين سيف بن ذي يزن حاكما على اليمن و إستقر سيف في ملك أجداده إلى أن قتل وكان سبب قتله أنه أخذ من أولئك الحبشة خدامًا فخلوا به في منضدة فزَرقوه بحرابهم فقتلوه وهربوا[1].

ومن خلال هذا المنطلق نرى أن العامل الديني المتمثل في الصراع الذي كان يدور بين ديانتين توحيديتين رئيسيتين هما المسيحية في الحبشة واليهودية في اليمن هو العامل الرئيسي الذي مهد لظهور شخصية سيف بن ذي يزن.

وإذا رجعنا إلى السيرة لنرى الشخصية التاريخية الثانية التي تقف مناوئة لسيف بن ذي يزن على مدار السيرة لوجدنا شخصية سيف أرعد وبالعودة إلى كتب التاريخ للتعرف على الخصائص التاريخية لشخصية سيف أرعد نجد أن الفرق الزمني بعيد بين سيف بن ذي يزن وسيف أرعد فسيف بن ذي يزن كما ذكرنا سابقا عاش في القرن السادس الميلادي أما سيف أرعد فقد عاش في القرن الرابع عشر الميلادي فيما بين 1344- 1373 م، والأحداث التي عاصرها سيف أرعد تعود إلى تجدد العداوة التقليدية بين الأحباش واليمنيين في أرض الحبشة نفسها إلى عداوة بينهم وبين المسلمين فتبدأ سلسلة من المعارك الدامية في القرن الرابع عشر تظل ثلاثة قرون قابلها المسلمون في مصر بمعاملة الأقباط بالمثل. وينقل لنا الدكتور عبد المجيد عابدين خطابًا أرسله ملك الحبشة (عمدا صيون) يلتمس من السلطان المملوكي الإحسان إلى الأقباط وفتح كنائسهم وذكروا عنه أنه قال "إن نيل مصر الذي به قوام أمرها وصلاح أحوال ساكنيها

[1] وهب بن المنبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، ط 1، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، الجمهورية العربية اليمنية، صنعاء، 1347 هـ، ص 315.

مجراه من بلادي وأنا أسده" فضحك السلطان من كلام رسل ملك الحبشة واستقل عقلهم وعوملوا بغاية الإهانة[1].

وعندما نربط هذا الحدث التاريخي بما رؤي في السيرة نجد أن تهديدات الحبشة بتغيير مجرى النيل أثرت – على الأقل نفسيًا – في الشعب المصري فإذا كان الأحباش قد هددوا بتحويل مجرى النيل عن مصر حتى يحل بها الوباء والدمار، فإن الراوي الشعبي الذي عاش في مصر وارتوى من نيلها لم يكن يرضى أن تحل بها هذه الكارثة فراح يحلم – في السيرة – بوسيلة يحتفظ بها بمرور مياه النيل دون أن يهدد أحدًا بقطعه، وقد وجد ضالته في قصة "كتاب النيل" والتي مؤداها: أن من يملك هذا الكتاب – كتاب النيل – يستطيع أن يجري هذا النهر بإذن الله. واستطاع سيف بن ذي يزن في السيرة أن يحصل على هذا الكتاب بعد أن خاض حروبًا وأهوالا ورصده في مصر بأن وضع عليه طلاسم وكتابات فلا يستطيع أحد أن يخرجه. وطالما هذا الكتاب موجود في مصر، فمياه النيل جارية، لا يستطيع أحد أن يهدد بقطعها. وهكذا استراح الشعب نفسيًا لهذه الأسطورة، إذ أراحته من هم التفكير في تهديدات الأحباش بقطع مياه النيل.

وما كان على عرش الأحباش الملك "سيف أرعد" – إثر هذه الحادثة – بأن يصبح الصدام بين مصر والحبشة علنيًا سافرًا كما يقوم سيف أرعد بمحاربة الطراز الإسلامي حربًا دامية مستمرة[2]، كما قبض على عدد من التجار المصريين المسلمين بالحبشة، وأعدم بعضهم وأرغم البعض على اعتناق المسيحية، وأرسل فرقة من رجاله لاعتراض طريق القوافل بين القاهرة والحبشة فأضر بالتجار برًا وبحرًا ويستمر أولاده في نفس سياسته حتى يصل التوتر إلى قمته في القرن الخامس عشر. [3]

[1] فاروق خورشيد، أضواء على السيرة الشعبية، د ط، مطابع اقرأ، بيروت، لبنان، د ت، ص 122.

[2] المرجع نفسه، ص 122.

[3] خطري عرابي، البناء الأسطوري للسيرة الشعبية، ص 36.

فالعصر المملوكي إذن شهد تجدد العداوة التقليدية بين الحبشة والعرب، وسيف أرعد هو اسم واحد من أهم ملوك الأحباش الذين اضطهدوا مسلمي الطراز اضطهادًا حقيقيًا والذين جابهوا سلاطين مصر بالعداء السافر.

وهكذا نرى أن كلتا الشخصيتين أعني شخصية سيف بن ذي يزن وشخصية سيف أرعد قد قامت بدور بارز في تاريخ بلادها، فسيف بن ذي يزن تعصب لبلاده ضد المستعمرين الأحباش، وسيف أرعد تعصب لدينه وبلاده بوصفها ممثلة للزعامة المسيحية.

فالسيرة الشعبية التي بين أيدينا إذا موجهة ضد سيف أرعد تحاول أن تنال من الأحباش كلهم فيه والانتقام من أفعاله التي قام بها ضد المسلمين وبالتالي يكون الراوي الشعبي قد أراح شعبه نفسيًا بانتقامه من سيف أرعد، وما سيف بن ذي يزن إلا رمز عربي لا يشير إلى زمن أحداث السيرة وإنما يشير إلى أحد ملوك حمير وآخرهم ،وهو الذي استطاع بمساعدة الفرس أن يقضي على الأحباش نهائيًا في بلاد اليمن.

ومن المؤكد أيضا أن السيرة قد بدأت روايتها بعد وفاة سيف أرعد أو في زمنه على الأقل، أي أنها نشأت في ظل الصراع الرهيب بين الإسلام والمسيحية في عصر ما بعد الحروب الصليبية، وهذا مبرر كاف لجعل شخصية سيف أرعد شخصية رئيسية في السيرة فلما أرد الراوي أن يختار شخصية عربية مناوئة لشخصية سيف أرعد، اختار شخصية سيف بن ذي يزن الحميري وجعل منه مبشرًا للدين الإسلامي بل ناشرًا له في عالم الإنس والجان.

والسؤال المطروح هنا هو لماذا اختار الراوي الشعبي شخصية سيف بن ذي يزن ليكون بطلا إسلاميًا – بالرغم من وثنيته – ويُحَمِلُه لواء الدفاع عن الإسلام وجعله يُحارب سيف أرعد مع بعد الشقة الزمنية بينهما؟ فلماذا لم يختر الراوي بطلا من المماليك الحكام في ذلك الوقت؟.

وللإجابة عن هذا السؤال لابد لنا أن نعتمد على بعض الأخبار التاريخية التي تربط سيف بالدين الإسلامي والتي وصلت إلى مسامع الشعب الذي أنتج هذه السيرة على أساس أن قضية السيرة قضية دينية. فإذا بحثنا في كتب التراث عن أخبار سيف بن ذي يزن الدينية فسنجد له قصة مشهورة مع عبد

المطلب بن هاشم جد النبي (صلى الله عليه وسلم) ومضمونها أنه لما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسنتين أتته وفود العرب وشعرائها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من حسن بلائه وأتاه فيمن آتاه وفود قريش،و فيهم عبد المطلب بن هاشم وأميه بن عبد شمس أبي عبد الله... فدخل عليه الأذن فاخبره بمكانتهم فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام فقال له إن كنت ممن يتكلم بين يديْ فقد أُذنا لك. فقال له عبد المطلب: "إن الله جل جلاله قد أحلك – أيها الملك – محلا رفيعًا، صعبًا، منيعًا، شامخًا، باذخًا، وأنبتك منبتا طابت أرومته، وعزت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، في أكرم موطن، وأطيب معدن، فأنت – أبيت اللعن – ملك العرب وربيعها الذي تخصبُ به البلاد ورأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد. وسلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يخمد من هم سلفك ولن يهلك من أنت خلفه، ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجك من كشف الكرب الذي قد فدحنا، وفد التهنئة لا وفد المرزنة قال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال أنا عبد المطلب بن هاشم. قال: ابن أختنا؟ قال نعم، قال أدن فادناه، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا، وملكًا ريحلا يعطى عطاء جزلا. قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم، فأنتم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء إذا ظعنتم، ثم نهضوا إلى دار الكرامة والوفود، وأقاموا شهرًا لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب فأدنى مجلسه وأخلاه ثم قال: يا عبد المطلب إني مفضي إليك من سر علمي ما لو يكون غيرك لم أبح به، ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك طليعة فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره، أني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرًا عظيمًا، وخطرًا جسيمًا فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة. فقال عبد المطلب أيها الملك مثلك سر وبر، فما هو فداؤك أهل الوبر زمرًا بعد زمر؟ قال إذا ولد بتهامة غلام به علامة بين كتفيه شامة كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة، قال عبد المطلب – أبيت اللعن – لقد أبت بخير ما أب به وافد، ولولا

هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من بشارته أياي ما ازداد به سرورًا قال ابن ذي يزن هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد واسمه محمد، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه، ولدناه مرارًا والله باعثه جهارًا، وجاعل له منا أنصارًا يعز بهم أوليائه، ويذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويخمد النيران، يعبد الرحمان ويدحر الشيطان، قوله وحكمه عدل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبطله ... فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب أنك يا عبد المطلب لجده غير كذب، فخر عبد المطلب ساجدًا فقال إرفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئًا مما ذكرت لك، فقال: أيها الملك كان لي ابن وكنت به معجبًا وعليه رفيقًا فزوجته كريمة من كرائم قومه آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدًا فمات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه، قال ابن ذي يزن إن الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ بابنك وأحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا وأطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فإني لست آمن أن تدخل لهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة فيطلبون له الغوائل وينصبون له الحبائل ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار مملكته فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره ولولا أني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره ولأوطأت أسنان العرب عقبه، ولكني صارف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك"[1].

وهذا هو سيف بن ذي يزن وهذه هي أخباره التي تتناقلها الرواة ذلك الرجل الذي علم بمولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وعرف أخباره كما عرف أعداءه، لذلك فهو يخشى عليه الآفات ويحذر عليه العاهات وما هذا إلا بدافع الإيمان بهذا الرسول وبرسالته، ذلك الإيمان الذي يجعله عازمًا على نشر خبره بين الناس لولا ما يخشاه عليه من العرب واليهود، وبهذه الأسباب لم يكن سيف بن ذي يزن في نظر الشعب يهوديًا ولا نصرانيًا ولا وثنيًا إنما كان مسلمًا مؤمنًا بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وبرسالته

[1] أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، المرجع نفسه ،ص 328 (قصة سيف بن ذي يزن وبشارته بالنبي).

لأن الشعب العربي الذي استدعى هذه الشخصية ووظفها في سيرته لتكون المثال الذي يحتذى به والذي يحقق له التوازن لم يشأ أن يترك هذا البطل يفقد كل قيمة لكونه وثنيًا ولهذا جعله مسلمًا قبل ظهور الإسلام وجعله مرتبطًا بدين إبراهيم الحنيف وبهذه الطريقة يمكن للبطل أن يكون كمثال للعربي الأصيل يستطيع أن يقوم بأعماله البطولية في خدمة الإسلام.

أما لماذا لم يختر الراوي شخصية عربية إسلامية معاصرة للملك سيف أرعد فترى نبيلة إبراهيم "أن المماليك والسلاطين الذين حكموا مصر بعد ذلك لم يكونوا يمثلون الأصل العربي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فربما لم يلتمس الشعب العربي البطولة النادرة في شخصيات عصره، فرجع بذاكرته إلى ما ترسب في نفسه من حوادث تاريخية فاختار شخصية سيف بن ذي يزن. وربما ذكره اسم سيف أرعد باسم الملك الحميري سيف بن ذي يزن ووجد أن التقابل بين الاسمين يضفي على السيرة نوعًا من الطرافة فكلاهما "سيف".[1]

[1] نبيلة ابراهيم، البطولات العربية والذاكرة التاريخية، ص 258.

ثانيا : مراحل حياة البطل سيف بن ذي يزن في السيرة الشعبية :

إن الفكرة الرئيسية التي تدور حولها السيرة هي عملية نشر الايمان و القضاء على الكفر على يد البطل سيف بن ذي يزن، وترتبط هذه الفكرة الرئيسية بمراحل حياته بحيث تمثل كل مرحلة لحظة زمنية متميزة في بناء شخصيته، وكل مرحلة تمثل خطوة نحو الأمام لتحقيق الهدف الذي كُلف به من طرف الشعب، وتبدو هذه المراحل مترابطة في السيرة فكل مرحلة تنتقل إلى التي تليها بطريقة منطقية، دون أن يحس القارئ بالخطوط الفاصلة بينها، ولا يكتشفها إلا بالنظر الدقيق و التأمل الصائب.كما يجدر الإشارة إلى وجود حكايات جانبية تقطع الحدث الأصلي لتحكي حكاية شخصية أو تفسر وجودا غريبا أو تصف مشاهد خارقة للعادة رآها البطل في رحلاته ثم تعود بنا إلى سياق الحدث الأول، الأمر الذي يزيد من حجم السيرة ويجعلها تستوعب آلاف الصفحات، ولكن بالرغم من الأهمية الجمالية والوظيفية لهذه الحكايات الجانبية إلا أن حذفها لن يؤثر بشكل كبير على مسار الحكي.

وسنحاول في هذا المبحث أن نركز على مراحل حياة البطل باعتبار أن كل مرحلة في حياة البطل تكشف لنا مجمل التطورات في شخصية البطل، و طبيعة تطور المهمة التي تعتبر الفكرة الرئيسية التي يريد تحقيقها في السيرة الشعبية ،وباجتهادنا قسمنا المراحل بشكل يتناسب مع طبيعة البحث بشكل عام والمهمة التي كلف البطل بتحقيقها من طرف الوجدان الجمعي بشكل خاص على النحو الآتي :

1- مرحلة ما قبل ميلاد البطل:

مدخل السيرة مرحلة هامة في بناء السيرة الشعبية، ففي المدخل تبدو فنية الراوي وبراعته في كيفية الدخول إلى موضوع سيرته فموضوع السيرة دينيً ويظهر لنا ذلك بجلاء من خلال:

الافتتاحية الخطابية:

"الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلى على الظالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل هو وكيلنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم المعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحانه وتعالى في كل وقت وحين وأشكره شكر عبد خائف خاضع مسكين واستغفره من كل ذنب ظاهر أو كمين

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي قائلها من العذاب، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله سيد المرسلين وإمام المتقين ... (أما بعد) فهذه قصة الأمير سيف بن ذي يزن مبيد الكفرة أهل الشرك والمحن في سائر الأمصار والزمن ومخمد الأسحار والفتن، وهي قصة غريبة الوجود والمستعان بالله تعالى الواحد المعبود الذي جعل سير الأولين عبرة للقوم الآخرين وأخبار الأمم الماضين اعتبارًا للباقين وفضل دين الإسلام على كل ملة ودين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على الأنبياء والمرسلين، ونسأل الله الإعانة والتمكين والتيسير في هذا الأمر للطالبين ورضي الله عن سائر أوليائه الصالحين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين (قال الراوي) أبو المعالي رواي سيرة أبي الأمصار وسائق النيل من أرض الحبشة إلى هذه الديار وبالله التوفيق، إنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من الملوك السابقة ذو عزة وتمكين وهبة عند أهل القرى والمدن وسكان تلك الأرض والزمن لأن جميع الخلق تخشى من سلامته، والملوك تفزع من هيبته لأنه قوي الأركان شديد البطش والسلطان ولم يوجد له مثال من ملوك الزمان وهو من بني حميْر الذين أخبارهم بين جميع الخلق شائعة وأقوالهم عند الملوك متسامعة وكان اسمه الملك ذا يزن، وهو ساكن بأرض اليمن وكان له وزير عاقل عارف بالأمور ليس جاهلا واضح البيان فصيح اللسان ذو أدب وكمال كان عزيزًا عند الملك على كل حال مرفوع الرتبة مقبول الكلمة وهو في عين الرضا وهو المشير على جميع الجيوش مع حسن الدقة والفطانة، وجميع الجيوش له مطيبون ولقوله سامعون وليس له نظير لا في مشرق الأرض ولا في مغربها، وكان اسمه يشرب وكان قرأ الكتب القديمة والملاحم العظيمة ، فوجد في التوراة والإنجيل وفي صحف إبراهيم الخليل وفي مزامير داود عليهما السلام اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو من آل قريش من بني هاشم ووجد صفته وأنه يظهر الإسلام والإيمان ويبطل الأديان التي لأهل الكفر والطغيان في جميع الأرض ذات الطول والعرض (قال الراوي) فلما قرأ هذه الكتب وعرف ما فيها من الباطل والحق ترك الباطل واتبع الحق وصدق بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الحق وسائر الأنبياء والرسل فعلم أنهم على الحق عليهم الصلاة والسلام واتبع اليقين

وصار من عباد الله الصالحين وكتم إسلامه عن قومه أجمعين ولم يعلم أحدًا بإسلامه وما هو عليه من إتباع النبيين"[1].

نجد في هذا المدخل الافتتاحي للمرحلة الأولى من السيرة أن الراوي يبدأ بحمد الله والاستعانة به والشهادتان وفي هذا تأكيد على إسلامية السيرة، كما أن هذه الافتتاحية تعتبر ذات طبيعة استقبالية وهي الإخبار بما سيقع من عدوان ومن حروب وهي تركز على شخصية محددة "البطل المركزي" وهو سيف بن ذي يزن بقوله: "... هذه قصة الأمير سيف بن ذي يزن مبيد الكفرة أهل الشرك والمحن في سائر الأمصار والزمن ومخمد الأسحار والفتن" ويشير الراوي صراحة إلى المغزى الديني خاصًا دين الإسلام بأفضلية بقية الأديان بقوله: "فضل دين الإسلام على كل ملة ودين".

- ثم يعرض الراوي أول الشخصيات ظهورًا وهما شخصية الملك "ذي يزن" ووزيره "يثرب" المسلم العاقل ذو الرأي والتدبير ثم يروي لنا الراوي رحلة الملك ذي يزن للقضاء على الملك "بعلبك" وما تمخض عن هذه الرحلة من نتائج حاسمة يمتد بعضها إلى آخر السيرة وملخصُ هذه الرحلة أن الملك ذي يزن في أحد الأعياد نظر إلى عساكره عرضا وطولا فوجدهم عَالمِا لا يُحصى بعدد الرمل والحصى، فأمر بِعَدِهِمْ وإحصائهم؛ فعدوهم وأحصوهم في دفاترهم وأخبروا الملك فأخذهُ الفرح والابتسام، ثم التفت إلى وزيره يثرب وسأله هل تعرف في جميع ملوك الأرض صغيرًا أو كبيرًا ملكا أكبر وأعظم وأكثر عساكر مني فأخبره عن ملك يقال له "بعلبك" فصار الضياء في عين الملك ذي يزن ظلامًا وقال: "وحق اللات والعزى أنه لابد السير إلى هذا الملك الكبير والقضاء عليه".
- فعند القيام بهذه الرحلة حصلت نتائج من أهمها:

1- إسلام الملك "ذي يزن" على يدي وزيره "يثرب" ويأمر عساكره بالإسلام وهنا يجعل الراوي أبا بطله مُسْلِمًا.

[1] سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن ، مج 1 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1985 م ص3.

2- بناء مدينة "يثرب" المسماة على وزيره.

3- القضاء على الملك "بعلبك" والاستيلاء على مملكته.

4- بناء مدينة "الحمراء" التي سوف تكون إحدى أهم المدن لاحقا.

وخلال هذه المرحلة أيضا يطلعنا الراوي على نبوءة البطل.

- **نبوءة البطل:** إن البطل في السيرة الشعبية يمثل الأصل الموجه ويمثل كذلك التراكمات الأسطورية و الفولكلورية القديمة، وأساطير الخلق و الأساطير الكونية، وأدب أيام العرب، و هذه الأصول كلها كونت زمن الأساطير وهو زمن النبوءة المركزية. وتشكل النبوءة المركزية أساسا تقوم عليه السير الشعبية، وهي تولد مختلف وظائف الحكي و هي تسبق مولد الفاعل السردي ـ البطل ـ [1]بحيث تلعب دورًا في التهيئة لظهور البطل فترى نبيلة إبراهيم أن "النبوءة إسهام من الكون يسهم به في التبشير ببطولته التي تتحقق على وجه التأكيد فيما بعد"[2] .

فالنبوءة تكشف على خطوات البطل المستقبلية، وما يجب أن يقوم به، وبالتالي فهي تعكس حلم الشعب في التغيير على يد هذا البطل الذي لا يزال في رحم الغيب لكنه هو الذي سيعيد للجماعة الأمن والأمان.

وملخصُ النبوءة في السيرة هو بعدما بنى "ذو يزن" المدينة الحمراء قرر أن يرحل هو وجميع أهله وأقاربه وعشيرته وفرسانه ليسكنوا فيها. وذات يوم قال الملك لوزيره يثرب "لا بد أن أسطو على جميع الخلق حتى لا يبقى لي مقاوم ولا مخاصم وعن قريب تصير الحبشة لي وتحت حكمي"[3] فيضرب وزيره تخت الرمل ويقول "إني قد وجدت في الكتب القديمة والملاحم العظيمة أنه لابد لملك من ملوك التبابعة أن يكون على يده إنفاذ دعوة نوح عليه السلام وربما يكون أنت أيها الملك الهمام والأسد الضرغام"[4] فيفتح الوزير

[1] ضياء الكعبي، السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص 177.
[2] محمد أبو الفتوح العفيفي،البطولة بين الشعر الغنائي و السيرة الشعبية،313.
[3] السيرة، مج 1، ص 14.
[4] السيرة، مج 1، ص 15.

الملاحم وينظر فيها ويضرب تخت الرمل ويرى أن الملك الذي بيده نفاذ دعاء نوح ليس ذا يزن ولكن من صلبه. وينشد يثرب قصيدة تتألف من ثمانية وثلاثين بيتا ومن بين مقاطعها:

يأتيك مولودًا ويملك أرضـــهم ويبقى على جميع البرية حاكما

على يده لا شك إنفاذ دعوة لنوح نبّي الله حكما تقدمـــا

وتعمر في أيامه مصر كلهـــا ويجري بها النيل المبارك خادمـا[1]

- وفي هذه الأبيات عرض للنبوءات الرئيسية التي ستحرك أحداث السيرة وهي:

1- القضاء على الكفر والشرك بالله ونشر دين الإسلام.

2- تنفيذ دعوة سيدنا نوح عليه السلام.

3- جريان نهر النيل وتعمير مصر.

- وإذا كان الراوي الشعبي قد مهد في المدخل للإسلام والمسلمين فإنه لا يفوته أن يذكر قائد الطرف الثاني الذي سيكون مناوئا للملك ذي يزن وابنه من بعده وهو الملك سيف أرعد حيث يقول فيه الراوي: "... وكان يقال له الملك سيف أرعد لأن له صوتا كأنه الرعد إذا أرعد لأنه كان جبارًا عنيدا وشيطانًا مريدًا لا يصطلي له بنار ولا يعدى له على جار ... وكان ملك ملوك الحبشة والسودان ... وكان عنده حكيمان شيطانان ملعونان وكان أحدهما اسمه سقرديون النحيس والآخر سقرديس وكان له وزير يقال له بحر قفقان الريف... وجَدَ في الكتب العظيمة والملاحم القديمة أنه يظهر في آخر الزمان نبي قرشي يختم الله به الرسل والأنبياء فأسلم ذلك الوزير وكتم إسلامه ولم يبين لأحد ما هو فيه من إيمانه من جميع الحبشة والسودان ... وكانوا في ذلك الزمان يعبدون الكواكب من دون الغالب وبالخصوص زُحَلْ من دون الله عز وجل"[2] وسبب انتقال الراوي إلى ملك الحبشة هو أن الملك ذي يزن عندما قام ببناء مدينة الحمراء بناها في أراضي الحبشة التابعة "لسيف أرعد" الذي وصله الخبر فجمع الملك سيف أرعد أرباب

[1] السيرة، مج 1، ص 17.

[2] السيرة، مج 1، ص 17.

دولته ورؤساء مملكته وقال: "أنظروا إلى هؤلاء العرب عُدَمَاءُ العقل والأدب الذين نزلوا في أرضنا ولم يستأذنونا في ملكنا وإني عولت أن أغزوهم وأخرب ديارهم وأقتل كبارهم وصغارهم وأنهب أموالهم وعيالهم"[1] فنصحه الحكيم سقرديس بعدم قتالهم لئلا تنفذ على يديهم دعوة سيدنا نوح عليه السلام فقال له الملك سيف أرعد: "ما تكون دعوة نوح يا حكيم الزمان ... فقال له سقرديس أعلم يا ملك الزمان وفريد العصر والأوان والحاكم على جميع الحبشة والسودان أنه كان في قديم الزمان نبي يقال له نوح عليه السلام فأمر قومه أن يتبعوه في قوله وأمره ونهيه فخالفوه فدعا عليهم فنزل من السماء مطر ونبع من الأرض ماء وقطر فأغرقهم جميعا ... ونجا هو ومن تبعه. ففي يومٍ من الأيام نام في القيلولة وأولاده سام وحام جلوس عنده، فهب الهواء على نوح فانكشفت عورته لأجل بيان سره وقصته فتقدم سام وغطى عورة أبيه فلما نظر حام عورة أبيه لم يسترها وضحك عليها فانتبه نوح من منامه وما كان فيه من لذيذ أحلامه فوجد الولدين يتشاجران ويتخاصمان...ووجد حاما مبتسمًا ووجد ساما غاضبًا" فسألهما عن سبب الخصام فأخبره سام بما وقع "فنظر نوح إلى ولده حام وهو مغضب فدعا عليه وهو مجاب الدعوة وقال له: سود الله وجهك ونسلك وجعل نسلك وذريتك خدامًا وعبيدًا لذرية أخيك سام بن أمك وأبيك"[2] وإننا نخاف أيها الملك أن هذه الدعوة تنفذ فينا على يد هذا الملك.

- نتبين من النص أن هناك دعوة دعا بها نوح عليه السلام على ابنه حام وذريته وبمقتضى هذه الدعوة سيصبح الحبشة والسودان عبيدًا للبيض وأن أوان تحقق هذه الدعوة سيكون مع سيف بن الملك ذي يزن، بالإضافة إلى تعمير مصر، وجريان نهر النيل. وهي تعتبر الوظيفة المركزية التي سيتحرك الحكي بمقتضاها فالسيرة بأكملها ستبنى على هذه الوظيفة.
- وقد دبر الملك سقرديس حيلة للقضاء على ذي يزن وقال: "الحيلة في ذلك أن ترسل إليه هدية سنية من جملتها جارية أحسن ما يكون عندك من جواريك ... وتعطيها حقا صغيرًا فيه مثقال من السم

[1] السيرة، مج 1، ص 17.

[2] السيرة، مج 1، ص 17 - 18.

الخارق وتوصيها أنها إذا اختلت بهذا الملك تسقيه ذلك السم في المدام أو تضعه في الطعام فيموت بوقته وساعته ونرتاحُ بعد ذلك من رؤيته" فقال الملك سيف أرعد هو الرأي الصواب والأمر الذي لا يعاب وقد سمى الملك سيف أرعد الجارية بـ"قمرية" وكانت اللعينة صاحبة مكر واحتيال ومناصب وتحسن الكذب... وكان الوزير "بحر قفقان الريف" حاضرًا في مجلس الملك سيف أرعد فلما سمع ورأى ما حدث أرسل خدامه إلى الملك "ذا يزن" يحذره مما قد يقع له من الخطر، وحدث أن وصلت الهدايا قبل رسول بحر قفقان فشك يثرب في الهدية وأخذ يحذر الملك ويلهيه إلى أن أتى التحذير فتم القبض على قمرية واستجوبها الملك فاعترفت ولكن الملك "ذا يزن" أحبها فتزوجها فحبلت منه.

- موت الأب ووصيته: بعد أن حبلت قمرية مات الأب "والد البطل" لأسباب لم تذكرها السيرة لتتركز الأحداث بعد ذلك حول البطل المنتظر ولا ينسى الراوي في نهاية المدخل أن يؤكد على إيمان ذي يزن حرصًا على إيمان البطل ولذلك فقد جمع خواصه وأهله وأوصاهم بالإيمان بالله تعالى الرب الجليل وتصديق الرسالة لإبراهيم الخليل وتصديق محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي يظهر في آخر الزمان ... وأشار إلى زوجته وقال: "وأعلموا يا قوم أن هذه الجارية حاملة مني وهي الحاكمة عليكم من بعدي إلى أن تضع حملها وتربيه حتى يبلغ الولد ما يتمناه ويشتهيه فإذا كان ذكرًا كان هو الحاكم عليكم ..."[1]

2- مرحلة ميلاد البطل ونشأته الإغترابية:

في هذه المرحلة تتوجه أحداث السيرة نحو البطل المنتظر الذي سيعيد للأمة توازنها وطالما أن هذا البطل المثال الذي يحلم به الشعب، فمن الطبيعي أن تختلف ولادته عن أي طفل آخر، فسيف ولد جميلا حسنًا وحسنه وجماله كانا سببًا في غيرة أمه منه التي خافت أن تؤول له السلطة فيما بعد، فأرادت قتله منذ اللحظات الأولى والخلاص منه، لكن يد القدر تتدخل لإنقاذ الطفل على يد جارتها التي رقت له بأن تلقيه في البراري بعيدًا عن أعين الناس، فإن عاش عاش لأجله وإن مات مات لأجله، وترتاح قمرية لهذه

[1] السيرة، مج 1، ص 25.

المشورة، فتأخذه وإياها بعد أن تزوده بعقد جوهر وألفي دينار وذهبت به إلى البراري فوضعته هناك ثم عادت مع دايتها إلى قصرها مرتاحة البال.

- وإذا كان أبطال السير الشعبية يواجهون صعوبات مثل هذه الصعوبات في طفولتهم إلا أن الأمر هنا مختلف فكَوْنُ الأم وهي من المفترض أن تكون أحن الناس عليه هي التي تحرصُ على قتله منذ ولادته أمر بالغ الغرابة فلهذا وصفها الراوي بعبارات لا تليق بأم البطل بقوله: "فتولت الجارية الخبيثة قمرية الخائنة الردية"[1] ،وكذلك في قوله: "فقالت لها قمرية، وعليها الخزي من رب البرية"[2].
- ولما وضعت قمرية البطل تحت الشجرة في الحر والهجر كان هناك حِجْرُ غزالة فأرضعته إلى أن أتى الصياد وحاول اصطياد تلك الغزالة التي نجحت في التخلص منه، ولكنه عثر على الطفل وأخذه إلى داره وكان الصياد يسكن في مدينة الدور التي ملكها يسمى "أفراح" وهو أحد الملوك التابعيين للملك الحبشي سيف أرعد.

أخذ الصياد الطفل إلى "الملك أفراح" حيث يحتفظ الملك بالطفل والعقد ويعطي الألفي دينار للصياد ويصرفه، فنظر الملك أفراح إلى الصبي ويلقي الله محبة الغلام في قلبه، وقد نظر وجود شامة خضراء على خده اليمين فاستغرب وتزامن ذلك مع قدوم الحكيم "سقرديون" إلى مملكته وعلم بقصة الطفل ونظر إلى الشامة التي على خده فكرهه ونصح الملك أفراح بقتله حتى لا تنفذ دعوة سيدنا نوح على يده قائلا "يا ملك الزمان إن صدقني حذري، ولم يخطئ زجري كما يعلم زحل أن الغلام من غير جنسنا حيث أنه أبيض اللون ونحن سودان والصواب أنك تقتله...لأني أخاف من تربية هذا الغلام فيكون على يديه إنفاذ دعوة نوح عليه السلام، فيبدل وجودنا إلى إعدام..."[3] ثم إن سقرديون قص للملك أفراح سبب سواد بشرة أولاد حام وأعاد تحذيره من ترك الغلام حيا، وبينما هم في ذلك الأمر والشأن حتى علت الزغاريد في قصر الملك أفراح وإذا بزوجته تلد طفلة على خذها شامة مثل التي على خد الغلام، ففرح بها الملك

[1] السيرة، مج 1، ص 26

[2] السيرة مج 1 ،ص 27

[3] السيرة، مج 1 ،ص 31.

وقال ما أحسن هاتين الشامتين، ولما رآهما الحكيم سقرديون لطم رأسه وهو يصيح "... وحق زحل في علاه والنجم وما سواه إني خائف من هاتين الشامتين واجتماعهما مع بعضهما"[1] ، فتعجب الملك وسأله عن السبب، فأجابه "أعلم يا ملك متى اقترنت هاتان الشامتان على هذه الخدين، نفذت دعوة نوح عليه السلام"[2] ،ويأمره بقتله أو قتل ابنته فيرفض الملك أفراح قتل الطفل ويعدُهُ بالعمل على عدم اقتران الشامتين، فيفرق بينه وبين شامة في المنازل والأوطان وقد جهز لكل منهما مراضع وقد سماه "وحش الفلا"، وفي يوم من الأيام إذا بحاضنة وحش الفلا تملأ ما يشرب منه من المزيرة تسمع قائلا يقول "يا جارية هاتي وحش الفلا يتربى عندي مدة من الزمان حتى يصير من العمر ثلاثة أعوام"[3]، وبعد تكرار هذا النداء ثلاث مرات قالت في المرة الأخيرة إن لم تضعيه يا ابنة الشيطان حتى أخذه طوعًا أخذه كرهًا"[4] فخافت الجارية وتركت الغلام وعادت بعد ساعة فلم تجده، وكانت هذه الجنية زوجة الملك الأبيض التي تسكن هي وزوجها عند منابع النيل .وتقول السيرة أن قمرية لما رمت الطفل في البرية رأته ملكة من الجان ومعها ابنتها "عاقصة" فأرضعته فأخبرت زوجها عنه فأمرها بأن تعيده إليها وتتبناه وتربيه ففعلت ذلك ثم أعادته إلى الملك أفراح – ولم يكن جزافا أن يرضع الملك سيف ثلاث سنوات عند منابع النيل لما له علاقة بموضوع السيرة وتحقيق هدفه الذي هو جريان نهر النيل- وبهذا تكون عاقصة أخته الجنية من الرضاعة ،ثم حذرت الملك أفراح من أن يمسه أحد بسوء "فكل من تعرض له بأذية فإني أسقيه كأس المنية"[5].

واستمر الملك أفراح في تربية الطفل وعندما كبر قليلا علمه الفروسية وفنون الحرب والقتال "إلى أن اشتد ذراعه واشتد باعه فصار ينزل كل يوم إلى الميدان ويبادر الأقران ويقهر الشجعان وينكس الفرسان"[6].

---

[1] السيرة، مج 1، ص 34.
[2] السيرة، مج 1، ص 35.
[3] السيرة، مج1، ص 35.
[4] السيرة، مج 1، ص 35.
[5] السيرة، مج1 ، ص37.
[6] السيرة، مج 1 ،ص 37.

الأمر الذي جعل سقرديون يشتاط غضبًا وهدد الملك أفراح بإخبار سيف أرعد بهذا الطفل العدو الذي تربيه في أرضنا فيطردك من هذه المدينة في ذلة واحتقار، مما جعل الملك أفراح يرسل وحش الفلا إلى فارس شديد من أشجع فرسانه يقال له عطمطم "خراق الشجر" لاستكمال التدريب فصار عطمطم كل يوم يركب ظهر الحصان وينزل به إلى الميدان، ويعلمه الحرب والطعان ... وصار يعلمه أبواب الطعن والضرب والفروسية والشجاعة وقوة البراعة والصد و الرد والأخذ والعطا مدة من الزمان إلى أن أكمل وحش الفلا من العمر خمسة عشر سنة"[1] حتى أثبت تفوقًه على معلمه ومدربه الأمر الذي أدى به إلى طرده لأنه رأى فيه شجاعة خارقة فخاف أن تنفذ على يده دعوة نوح.

يهيم البطل بعد ذلك في البراري والقفار إلى أن يصل إلى غار دخله فوجد رجلا أعجميًا شنيع المنظر يطير من عينيه الشرر اسمه عبد لهب الذي دله على "السيف المطلسم" "وهو سيف أمضى من السيف البتار وإن ضرب به شخص قتله لوقته وساعته"[2].

فحصل سيف على السيف المطلسم وقتل عبد لهب الذي أضمر له الغدر ثم هرب باتجاه مدينة الملك أفراح فيجد أبواب المدينة مقفلة ووجد خيمتين خيمة عروس وأخرى خيمة حزن وأسى فدخل خيمة العروس، فإذا هي بشامة بنت الملك أفراح وهي حزينة لأنها سوف تتزوج ماردًا شريرًا سلطه عليهم سقرديون لأن أباها خالف أوامر قتل وحش الفلا، فخلصها وحش الفلا بقطع يد الجني المختطف بالسيف المطلسم ،ثم يطلب الزواج من شامة نظير انقاذها من المختطف وكان سقرديون حاضرًا في المجلس فوافق الملك أفراح بينما رفض سقرديون وأخذ يضع العراقيل أمام البطل، إذ طلب رأس سعدون الزنجي البطل الجبار حينذاك مهرًا لشامة معتقدًا أن سعدون سيقتل وحش الفلا، فوافق البطل، ويتغرب ويرتحل وقد عانى الأهوال ولكنه في النهاية يجتاز العراقيل ويأتيهم بصحبة سعدون بعد أن تغلب عليه ويكتسبه بطلا مصاحبًا على طول الزمان، والذي سيكون له شأن في مساعدة البطل على تحقيق هدفه. لكن

[1] السيرة، مج 1 ،ص 39.

[2] السيرة، مج 1 ،ص 42.

سقرديون يحتال مرة أخرى حتى يمنع البطل من الزواج كي لا تتحقق النبوءة فيطلب منه أن يأتيه "بكتاب تاريخ النيل" حلوانا لشامة فقال وحش الفلا "وايش مرادك بهذا الكتاب وما فائدته" فقال الحكيم "أيها البطل الفضيل والسيد الجليل من يبقى عنده هذا الكتاب تصير جميع الحبشة والسودان نعاله وغلمانه... ويصير حكما على جميع ملوك ذلك الزمان"[1].

وكتاب تاريخ النيل هو أحد الأدوات التي ستساعد البطل في تحقيق النبوءة المتعلقة بجريان نهر النيل فيما بعد.

3- مرحلة تعرف البطل على نفسه والحصول على كتاب تاريخ النيل:

بعدما يطلب الملك أفراح "حلوانا" لابنته شامة من وحش الفلا الذي ينوي الزواج بها، دون أن يعلم البطل أن تلك مكيدة دبرها سقرديون أحد أتباع ملك الحبشة سيف أرعد للتخلص منه وكان الحلوان "كتاب تاريخ النيل" الذي لا يعلم البطل مكانه ويتمكن حائز هذا الكتاب من تغيير مجرى النيل إلى أي جهة يشاء ولهذا يحاول ملك الحبشة الحصول عليه لتحويل مجرى النيل عن مصر. وخلال هذه المرحلة يتعرف البطل على شخصيته الحقيقية والمهام الملقاة على عاتقه فتقول السيرة: "... صار يقطع البراري والآكام مدة ستين يوما بالتمام... حتى وصل إلى صومعة وهو يقول: لعل الله تعالى يجعل في ذلك المكان منفعة ولما وقف على باب تلك الصومعة سمع بداخلها حس إنسان يذكر الرحيم الرحمن فتقدم وحش الفلا وصاح السلام عليك أيها الساكن في هذا المكان إن كنت من الإنس أو من الجان لأني ما رأيت غيرك في هذه الوديان، وإذ ذلك الشخص قال له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وأهلا وسهلا بملك بلاد اليمن وغيرها من الأمصار والدمن الحاكم على هذه الأقطار وسائق النيل من بلاد الحبشة إلى أراضي الأمصار مانع الظلم والفتن وحاكم صنعاء وعدن وصحاري الحبشة وما يتبعها من القرى والمدن، الملك سيف بن ذي يزن"[2].

[1] السيرة، مج 1 ،ص 63.

[2] السيرة، مج 1 ،ص 56.

وكان لأول مرة يتعرف البطل على اسمه الحقيقي على يد "الشيخ جياد" فاندهش وحش الفلا من ذلك وقال: "يا عمي لمن تقول هذا المقال وأنا اسمي وحش الفلا بين الرجال، فقال له صدقت يا ملك الزمان في هذا المقال وأعلم أن هذا الاسم سماك به الملك أفراح، وأما اسمك الأصلي فهو سيف من عند الفتاح ... على أهل الكفر والمحن، لأنك تقيم العدل في الأحكام وتؤيد الإسلام وعلى يدك تنفذ دعوة نوح عليه السلام"[1]، ثم علمه الإسلام فأسلم على يديه وبعد تعرف البطل على اسمه الذي سيصبح مفتاحًا يحل به الأماكن المرصودة الموعود بها والكل يناديه به حتى في المواطن التي لم يسبق له أن زارها وبمقتضي هذا التعرف على الاسم ستصبح كل أفعاله مكرسة لنفاذ الدعوة، والإقدام في أي موطن وبدون إحجام، مادام عنده الإحساس بأن العناية الإلهية ترعاه، وأنه حيثما تحرك أو انتقل يدعو إلى الإسلام، – وقدعرفه أيضا على مهماته في المستقبل.

- يمضي سيف الليلة في صومعة الشيخ فيخبره أن الكتاب الذي يبحث عنه موجود في مدينة "قيمر" وأن ملكها "قمرون" قد حصنها بالأرصاد والسحر وهي بعيدة تقع خلف بحار شاسعة ولا وسيلة للوصول إليها إلا بركوب دابة متوحشة، وليس أمام سيف وسيلة سوى الاختباء على ظهر تلك الدابة لتنقله إلى ما وراء البحار صوب مدينة قيمر. وحالما يصل مكانًا قريبًا من المدينة حتى يلتقي "طامة" ابنة الحكيمة "عاقلة" في انتظاره وقد أعلمتها أمها وهي التي تشرف على السحرة المكلفين بحماية المدينة أن الأقدار ستجعلها زوجة للملك سيف بن ذي يزن، فاستقبلته وأخبرته أن لا يمكن دخول المدينة لأنها مرصودة من شخص اسمه الغماز مسحور يكتشف وجود الغرباء ويعلن عنهم وأن المدينة حصينة ويشرف على حراصتها ثلاثمئة وستون ساحرًا خوفًا من سرقة كتاب تاريخ النيل. لكن الحكيمة عاقلة قررت أن تساعد سيف للحصول على مُرادِهِ لأنه سيكون زوجًا لابنتها طبقًا للنبوءة فاتبعت أساليب سحرية لإبطال جميع المحاولات الهادفة للعثور عليه وتعمل في الوقت نفسه على تسهيل مهمته في الحصول على كتاب النيل وذلك بأن تغير صورته وتجعله مرافقًا لها في زيارتها الشهرية لمخبأ الكتاب برفقة الملك لكن أمرهُ

[1] السيرة، مج 1 ،ص 57.

يكتشف، الأمر الذي يدفع بالحراس إلقاء القبض عليه وأسره بعيدًا عن المدينة في "جب الهلاك" إذ لا أمل له في الخلاص، إلا الاستغاثة بالله كما قال له الشيخ جياد من قبل وحالما يستغيث سيف إذ بـ"عاقصة" أخته كانت حاضرة لأجل إنقاذه والانتقام لها من "المختطف الأقطع" الجني الجبار الذي أجبرها على الزواج منه، وتخرجه من الجب فيستطيع سيف أن يقتل الجني بواسطة السيف المطلسم، ويحرر أربعين جارية كان يحتجزهن في قصره التي من بينهن ناهد بنت ملك الصين التي ستصبح إحدى زوجاته مستقبلا – وهكذا أصبح أمام سيف أن يتزوج بكل من شامة بنت الملك أفراح وطامة ابنة الحكيمة عاقلة وناهد بنت ملك الصين – وبعد الخلاص من الجني اقترحت عليه عاقصة أن تطلعه على المدن السبعة المرصودة فوافق فحملته عاقصة على ظهرها وطارت به في الفضاء وخلال هذه الرحلة يُحول أهل المدن إلى الإسلام ويحصل على أدوات وذخائر اكتسبها من رحلته كقلنسوة الحكيم أفلاطون التي تخفي لابسها عن الأنظار وكذلك خاتم عبود خان الذي إذا أشار به إلى عدو فإن رأسه تنفصل عن جسده. ثم تعيده عاقصة بجوار "جب الهلاك" فتأتيه طامة مرة ثانية لتساعده فيتمكن من الدخول إلى مدينة قمير مرة أخرى متخفيًا بالقلنسوة وبفضل الحكيمة عاقلة يتمكن البطل من الحصول على كتاب تاريخ النيل وتطارده جيوش الملك قمرون لكنه ينجو من الموت حينما يختفي ثانية على ظهر الدابة المتوحشة التي تنقله إلى الجانب الآخر صوب صومعة الشيخ جياد، الذي يُبَلغُهُ سيف بما جرى له، وفي تلك الليلة يموت الشيخ فيدفنه سيف ويعود حاملا الكتاب إلى مدينة الملك أفراح.

4– مرحلة الاعتراف القومي:

عندما حصل سيف على كتاب تاريخ النيل عاد إلى مدينة "الملك أفراح" فبدلا من أن يكافأ بالزواج من شامة وجد صاحبه "سعدون الزنجي" يقاتل أتباع "الملك سيف أرعد" الذي خطب لنفسه "شامة" في غياب الملك سيف فوصل سيف في تلك اللحظة الحاسمة واستطاع بمعونة سعدون أن يقضي على رجال سيف أرعد.و نشير إلى ملاحظة مهمة هو أن جريان نهر النيل لا يتم في هذه المرحلة بل سوف يتحقق في المراحل الأخيرة من السيرة،لأن هذه المهمة تتطلب من البطل رحلات كثيرة ومساندين للبطل أكثر

حتى يتحقق ذلك، بينما كتاب تاريخ النيل هو من أهم الوسائل لإجراء نهر النيل بالإضافة إلى وسائل أخرى كالحصول على سيف آصف بن برخيا وبرق البروق الياقوتي.....وبدون إجراء نهر النيل لا يمكن أن تتحقق الوظيفة المركزية للسيرة.

يواصل "سقرديون" وأخوه حياكة المؤامرات لمنع زواج سيف من شامة وتكون النتيجة افتعال حرب بين "الملك أفراح" و"سيف" و"سعدون" من جهة وبين قمرية المتسلطة المتمردة على مملكة سيف أرعد. وبهذا يعود البطل إلى مسقط رأسه دون أن يعرفه ليتصدى بنفسه حرب أمه التي يجهلها وهناك تعرفت قمرية على ابنها بفضل العقد المعلق برقبته الذي علقته في صدره حينما طرحت به في الفلاة والشامة التي على خده فقالت له "يا ولد الزنا أنارميتك في البراري والفلا ابن أربعين يومًا وأنا ظني أنك قتلت واندثرت حتى ما أشعر إلا وأنت حي وعمرك عشرون عامًا وأتيتني تريد الحرب والخصام"[1] ، ثم حاولت أن تخدعه بالكلام الطيب حتى يَكُفَ عن محاربتها فأخبرته بالحقيقة وقالت له "لا تكن يا ولدي جحودًا فأنا حقيقة أمك وأنت ولدي وأنا معي خلط جنون تارة أكون عاقلة وتارة يذهل مني عقلي وكنت مذهولة ورميتك في البرية وهذا أصل تلك القضية"[2]

- ولكن سيف طلب أن يستمع إلى كلام الشهود حتى يتأكد من صحة الكلام فأحضرتهم فلما رآه الحجُاب عرفوه وقالوا "هذه الليلة لم يسمح لنا الدهر بمثلها إذ رأينا ملكنا عاد إلينا يا ملك نحن جميعًا حجاب أبيك وأنت اسمك الملك سيف بن ذي يزن ابن الملك التبعي اليماني ابن الملك أسد البيداء ابن الملك سام أخي حام وجدك نوح عليه السلام وهذه المدينة مدينتك وهذه الملكة قمرية والدتك"[3].
- في هذه المرحلة وبعد تعرف البطل على اسمه وشخصيته ومهامه يتعرف على والدته قمرية وعلى والده ونسبه ومسقط رأسه كما اعترفت به جماعته ،واعترفت بوجود بطلا بينهم بل وبتعينه ملكا عليهم.

[1] السيرة، مج 1 ،ص 132.
[2] السيرة، مج 1 ،ص 132 .
[3] السيرة ،مج 1 ،ص 132.

5- مرحلة زواج البطل سيف من شامة (التقاء الشامتين) وتخلص البطل من أمه الشريرة:

وتبدأ هذه المرحلة بعد حصول البطل على كتاب تاريخ النيل حلوانا لشامة وعودته إلى مسقط رأسه والاعتراف القومي به وعَفْوِهِ على والدته المحتالة صناعة المكائد فبعد ارتكابها المكيدة الأولى في حق ابنها بدأت المكيدة الثانية بحيث أوهمته أن أباه ترك له كنوزا واصطحبته بعيدًا حتى إذا أمن لها ونام بجوارها، ضربته بالسيف ثلاث ضربات حتى خر مغشيًا عليه فولت هاربة ظنًا منها أنه مات ولكن تتدخل العناية الإلهية في إنقاذ البطل على يد روحي الشيخ جياد وعبد السلام على شكل طائرين أبيضين و طببا جروحه عن طريق ورق الشجر ثم تحاورا فقال الشيخ جياد لعبد السلام: "لا تعترض يا عبد السلام على ما حكم الملك العلام واعلم أن هذه قمرية والدته لا كلام وأنها تفعل به سبع مكائد تمام"[1]. وشفي الملك سيف واستعد للرحيل إلى بلاده وفي أثناء الطريق لقي رجلا طيبا هو "اخميم الطالب" الذي يساعدهُ في الحصول على أدوات سحرية تعينه في تجواله فأخبره أنه يقوم على حراسة قبر سام منذ زمن طويل وأن سام يحتفظ له بداخل قبره بلوح عيروض المطلسم والسيف المطلسم، وهاتان الذخيرتان سيكون لهما شأن عظيم في مساعدة البطل في حروبه ضد الجان والانتقال من مكان إلى مكان بسرعة البرق. فيمُعِكَ سيف على اللوح فظهر له خادمهُ عيروض فطلب منه أن يحمله إلى بلاده فيفاجئ بأن سيف أرعد أراد الزواج بشامة محبوبته حتى لا تتحقق النبوءة فيقيم البطل حروبًا ضد سيف أرعد وينتصر عليه ويأخذ منه شامة ويتزوج بها على يد أمه التي سامحها. وتجتمع الشامتان لأول مرة الأمر الذي يمهدُ الطريق لتحقيق النبوءة.

- ونلاحظ أن الحروب التي خاضها البطل ضد سيف أرعد لم تأخذ البعد القومي والديني بعد فكلها حروب لأهداف ذاتية، وهو الزواج بمحبوبته فالبطل بالرغم من إسلامه لم يحمله الشعب بعد مسؤولية الدفاع عن الدين الجديد حتى يتخلص من أمه ويكتسب أصدقاء وذخائر أكثر.
- وتتواصل مكائد قمرية ضد ابنها البطل سيف فبعد مرور المكيدتين تبقى خمسة مكائد كما أفصح عنها الشيخ.

[1] السيرة،مج1،ص180

1. **المكيدة الثالثة:** لما ساهمت قمرية في زواج سيف وتضرعت إلى ابنها كي يصفح عنها بل أنها قدمت له السيف ليقتلها لكن سيف أبى أن يقتلها وصافح عنها فقالت "اسحب سيفك واقتلني حتى تكون أخذت ثأرك وأرحت عنك عارك"[1]، فرد سيف "يا أماه هذا شيء مقدور والحمد لله الذي جعل عافيته سليمة وطرائقه مستقيمة وحصل لي ذخائر عظيمة وفوائد جسيمة فقالت له: يا ولدي وما هذه الذخائر العظام فقال لها أتيت بلوح عيروض بن الملك الأحمر وسار لي خادمًا وأتيت بالحسام وهو سيف الملك سام بن نوح عليه ألسلام[2] .فدبرت قمرية حيلة وسرقت اللوح وطلبت من خادمه عيروض أن يحمل سيف ويلقي به في أراضي الغيلان كما يحمل شامة ويلقي بها في وادي الطودان، وهَمَ عيروض بتنفيذ الأوامر، فتبدأ رحلة اغترابية للبطل مليئة بالصعاب لكن البطل يتخلص مبدئيًا من أزمته عن طريق المساعدة "غيلونة" وهي كبيرة الغيلان التي أصبحت رفيقة له إذ أنها قالت له: "إذا أنت نمت أحرسك وإذا جعت أطعمك وإذا تعبت في الطريق أحملك"[3]، وتساعده في الوصول إلى شامة و خلصها من وادي الطودان وتتوفى غيلونة فتساعده عاقصة وتطير به إلى مدينة الملك أبي تاج وهناك يقتل الأسد الذي أرعب المدينة بضربة واحدة فيفرحون به ويكرمونه.

المكيدة الرابعة: عندما تقوم قمرية بعملية استطلاع وتجد سيف حيًا في مدينة الملك أبي تاج ترسل له عيروض وتأمره بأن يرميه في وادي السحرة وفج النار ولكن البطل يجد المساعد "برنوخ الساحر" لتعود به عاقصة إلى مدينة الملك أبي تاج مرة أخرى.

المكيدة الخامسة: تواصل الأم استطلاعها وتتبعها لإبنها سيف فقالت لعيروض هل ولدي سالم قال لها وكل ما ترميه في مهلك تخلصه أخته عاقصة.فطلبت رميه خلف جبل قاف لتبدأ رحلة اغترابية أخرى ليلقى المساعد وهو رجل مؤمن بالبطل فيعطي للملك سيف حيوان سرطاني يعيد المكفوف بصره الذي ينفعه في مداواة ناهد ويتركه بعد أن يزوده في البحر بالقارب ليصل إلى مدينة ملك الصين، ويحتال بصفة

[1] السيرة، مج 1 ،ص 183.
[2] السيرة، مج 1 ،ص 183.
[3] السيرة ،مج 1، ص 195.

طبيب لكي يعيد لناهد بصرها الذي عجز الأطباء عن علاجها، فعندما تُبْصِرُ تعرفه فيتزوجها. وفجأة ظهر عيروض وحمل الملك سيف والملكة ناهد ليحضرهم إلى بلاد اليمن وكان السبب في ذلك هو أن برنوخ الساحر خدع قمرية وسرق منها اللوح وطلب من عيروض خادمه أن يحضر الملك سيف للتو وفوجئت قمرية برجوع سيف سالما فأخذت تتضرع إليه طالبة العفو وحذر برنوخ البطل سيف من تساهله معها فرد عليه سيف قائلا "يا أخي دعها تفعل ما تشاء فإنها أمي وهي واقفة تتذلل بين يدي لعلها يا أخي تكون تابت"[1].

وأما الملك سيف بن ذي يزن فإنه أقام على كرسي المملكة ودخل عليه الخدم وخضعوا بين يديه كما يفعلون للملوك فقال الملك "ارفعوا رؤوسكم فإن السجود لا يكون إلا للملك المعبود وأما أهل الإيمان ودولة الإسلام فما عندهم تحية إلا السلام"[2].

المكيدة السادسة: تحاول قمرية خداع سيف ولكن سيف قيدها وسجنها، ولكنها أكلت عشب الاصفرار وتظاهرت بالضعف والهُزال حتى رق لها وأطلق سراحها ،وتواصل الإساءة إذ تسرق لوح عيروض ليلا وتطلب من خادمه أن يرمي سيف من أعلى قمة وادي أفلاطون بعد أن يخبر عيروض أهل البلد بما فعله الملك سيف وأنه هو الذي سرق القلنسوة من قبل كي يُمَزِّقوه ويقتلوه، فهوى مثخنا بجراحه حتى ظهرت له عاقصة وخلصته من ألآمه.

- واكتشف سيف في تجواله مملكة من النساء، كل امرأة فيها تملك ثوبًا سحريًا من الريش إذا ارتدته حلقت كالطائر في الفضاء، فأعجبته منية النفوس من بين هؤلاء النساء وتمكن من خطف ثوبها حتى لا تطير منه وبذلك تمكن من أسرها وتزوج بها وهذه الخطوة هي مرحلة هامة لأنها سوف تبنى عليها مرحلة هامة من مراحل السيرة.

[1] السيرة ،مج 1، ص 247.

[2] السيرة، مج 1 ،ص 248

المكيدة السابعة والأخيرة: تبدأ قمرية في افتعال الشر ولكن البطل حصن بنطاق سحري هو رق الغزال، فاستخدمت حيلة كبرى في خداع ابنها بأن تصنع لوحا مزيفا مثل لوح عيروض وذهبت تتوسل إليه وتسلمه اللوح المزيف وتظهر له إسلامها ،فانخدع البطل، ولكنه فرح بإسلام أمه المزيف أكثر مما فرح برد اللوح المزيف، ثم تخدع قمرية ناهد زوجته بأن تسرق لها رق الغزال فعندما تسرقه قتلتها طامة فتنبه الملك سيف من نومه ثم أوضحت له طامة ما فعلته قمرية من خدعة.

موت قمرية: بعد أن تكدر من أفعالها، إذ قال لبرنوخ الذي حاول أن يخفف عنه يا برنوخ كيف لا أتكدر ولا أنزعج وقد قُتلت ناهد والذي قتلها طامة، وكان السبب في ذلك أمي قمرية فإنها غدرت وأخذت لوح عيروض مني وأعطتني غيره وفعلت بمكرها هذه الأفعال ..."[1]. لذا فقد وافق لأول مرة على قتلها بعدما كان يرفض من قبل إذ "التفتت عاقصة إلى سيف بن ذي يزن وقالت له: يا أخي إذا دورت عليها وأتيت بها تسامحني في قتلها جزاءًا على فعلها، فقال الملك سيف: نعم يا أختي افعلي ما بدا لك لا أحد يعارضك في أفعالك"[2]. فقتلت عاقصة قمرية لكي تريح البطل من مكائدها.

- من خلال ما تقدم عرضه نشير بأننا قد عرضنا المراحل بشكل مفصل ومطول نسبيا وذلك لأن هذه المراحل تمثل اللبنة الأساسية لبناء الجو العام للسيرة والمحرك الرئيسي لأحداثها كما أن الأهمية الحقيقية التي تمحور عليها بحثنا تكمن في دراسة مرحلة واحدة من هذه المراحل وهي مرحلة حصول البطل على كتاب تاريخ النيل دراسة سيميائية ولكن بالنسبة للمراحل الأخيرة سوف نقوم بعرضها بشكل مختصر.

6- مرحلة الجهاد الديني :

بعد أن خاض البطل العديد من المعارك ولاقى الكثير من الأهوال والمتاعب الأمر الذي أنضج عقله وقوى شوكته تأتي مرحلة الجهاد، الجهاد من أجل الرسالة التي كلف بها من قبل شعبه أو التي ألفت السيرة من أجلها، وتعد هذه المرحلة من أطول المراحل التي يمر بها البطل وهي تستغرق ما يزيد عن ثلاثة أرباع

[1] السيرة، مج 1 ،ص 337.

[2] السيرة، مج 1، ص 338.

السيرة. يحاول البطل فيها أن ينشر دين التوحيد في جميع أنحاء العالم الظاهر والخفي بين الإنس والجن وتبدأ هذه المرحلة في السيرة بمغادرة الملك سيف مقر مملكته "حمراء اليمن" بحثا عن زوجته " منية النفوس" لإعادتها هي وابنها بعدما فرت على خلفية الحنين لأهلها .

وإذا كان البطل يهدف في الظاهر إلى الإتيان بزوجته، فإنه لا يخفي هدفه الثاني الذي يعد الأول في نظر الشعب، وهو الجهاد في تلك البلاد ونشر الدين فيها إذ أنه جمع أرباب دولته عندما عزم على الرحيل وأوضح لهم هدفه قائلا: « اعلموا يا رجال أني جمعتكم جميعا حتى اعلمكم أني أريد التوجه إلى زوجتي منية النفوس لعلي أعيدها ثانية إلى حكمي وطاعتي أو تدركني منيتي، وها أنتم كبراء دولتي ورؤساء مملكتي، ولقد جعلت ولدي دمر عليكم خليفتي فكونوا له مطيعين ولقوله سامعين، و لطاعة أمره ممتثلين فأنا قصدي الجهاد في تلك البلاد ولا أعود بإذن الملك الجواد إلا إذا جاهدت في تلك الأرض والمهاد ...»[1] وتنتهي هذه المرحلة بعد أن يؤدي البطل الرسالة التي كلفه شعبه بها وتنفذ على يديه جميع النبوءات المتعلقة بها .

7- مرحلة موت البطل (نهاية السيرة) :

تنتهي السيرة بموت البطل بحيث يكبر أولاد "سيف" فيُعين أولاده ومن تبقى من أتباعه على أماكن حكمهم بينما يعمل البطل سيف بوصية أستاذه الخضر عليه السلام الذي قال له: «يا ملك الزمان لقد أحييت الأرض بالإيمان وحظيت من الله بالثواب والإحسان فقال له يا سيدي مرادي أتعلق بشيء أتسلى به ما تبقى لي مدة من الزمان فقال له الخضر إن أردت ذلك فعليك بعبادة الملك الديان فإنه غاية الخير والرضوان . فاسكن بلادا خالية عن العمران ....فاسكن بالجبل الذي خلف قلعتك فأنت الجيوشي أحق به وإني قد أمرتك بذلك»[2] وهكذا بقي الملك سيف ومن معه يعبدون الله حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وعند وفاة الملك سيف حضره ولده وواراه في التراب وكتب على قبره «هذا قبر الملك

[1] السيرة، مج 2، ص 7.

[2] السيرة ، مج 4 ، ص 446.

الجيوشي رحمه الله تعالى عليه وعلى من مضى من أموات المسلمين»[1] وأقام مصر يحكم بالعدل والإنصاف إلى أن نزل به كأس الحمام سبحان من لا يموت وهو الدائم على الدوام .

وهكذا تنتهي دورة حياة البطل، وتنتهي بمقتضاها السيرة، بحيث تبدو دورة حياته عبارة عن سلسلة من الحلقات المترابطة، فكل حلقة ترتبط بالتي تليها لأجل تحقيق أهداف البطل التي كانت مليئة بالعجائب والغرائب، بحيث تحققت على يده النبوءات فقد قضى على الكفر ونشر الدين في ربوع الأرض وساهم في التمهيد لظهور نبي أخر الزمان " سيدنا محمد عليه السلام " وعمر بلاد مصر وأجرى مياه النيل فيها وكان حاكما على الإنس والجان .

[1] السيرة،مج4، ص 455.

المبحث الثاني : دراسة مرحلة حصول البطل على كتاب تاريخ النيل دراسة سيميائية :

أولا : مكونات الوحدة الحكائية " مرحلة الحصول على كتاب تاريخ النيل " من خلال الاعتماد على وظائف بروب :

يكشف الاستقرار الخاص بمكونات الوحدة الحكائية للسير الشعبية عن وجود نظام داخلي يحكم بنية الوحدة الحكائية، وسنعمل على استخراج تلك المكونات استنادا على وظائف بروب، واستنباط المنطق الذي يوجه تعاقب هذه المكونات وبالعودة إلى أحداث السيرة نجد حدثين مهمين يقابلان وظيفتين من وظائف بروب في مستهل الوحدة الحكائية فالحدث الأول يتمثل في أن سقرديون يطالب الملك سيف بإحضار كتاب تاريخ النيل حلوانا لشامة، وهو يعرف أن في ذلك هلاكه وهي تقابل الوظيفة (25) من تحليل بروب فالبطل يكلف بمهمة عسيرة التحقيق ، لكنه ينجح في أدائها وعند ذلك يكون التسليم ببطولته . بينما يتمثل الحدث الثاني في أن البطل يقرر الحصول على كتاب تاريخ النيل فهو ينتدب نفسه لإنجاز مهمة محددة ليشبع فيها حاجة ما تخصه وتخص الجماعة الشعبية التي انتدبته، وهذا الحافز يخلخل وضع الاستقرار الذي كانت الشخصيات تنعم به، ويغير حالة سكون الأحداث ويوجب على البطل مغادرة أرضه وهي تقابل الوظيفة (1) في تحليل بروب والتي تمثل وظيفة الرحيل أو تغيب أحد أفراد الأسرة عن البيت. وفي السيرة نجد مغادرة البطل عن البؤرة المكانية فسيف يغادر مدينة " قيمر" كما قد نلاحظ تشابك هذه الوظيفة مع الوظيفة (11) في وظائف بروب وهي أن البطل يترك أسرته ويخرج للمغامرة؛ فسيف بطل سيرة بحثنا حتى وإن كان هدفه محددا وهو الحصول على كتاب تاريخ النيل لكنها ضمنيا تحمل معنى المغامرة الغير واضحة المعالم...وبعد اتخاذ قرار الرحيل من طرف البطل يوجه له تحذير يدعوه إلى تجنب هذا القرار، وهي تقابل الوظيفة (2) بحيث نجد أن سعدون يقول لسيف «يا سيدي ايش هذا الضمان الذي ضمنته على نفسك ومالك إليه طريق ولا متسع ولا مضيق ولم تعلم هو في أي أرض من الأودية والبطاح»[1].

[1] السيرة، مج1، ص64.

وعند الانطلاق في المغامرة يتقابل البطل مع الشخصية المساعدة وهي تقابل الوظيفتين (12 ، 13) المتعلقة بالشخصية المانحة ، وفي السيرة نجد أن البطل يستعين بمساعدين يسهلون له مهمته وهما على فئتين :

1- **المساعدون الأساسيون** : وهم يرافقون البطل طوال أحداث السيرة ويكاد يتكرر وجودهم في كل وحدة حكائية كعاقصة أخته ابنة الملك الأبيض

2- **المساعدون الثانويون** : ويتعددون طبقا للوحدات الحكائية ويلتقيهم البطل في رحلته مثل : الشيخ جياد والحكيمة عاقلة .

- وتتمثل مهمة المساعدين في السيرة في عدة نقاط منها :

أ- يكشفون لهم كيفية الوصول إلى الهدف مثل مساعدة الشيخ جياد في تسهيل مهمة الوصول إلى مدينة قيمر.

ب- يعلمون البطل بحصانة مكان الخصم؛ فتعلم الحكيمة عاقلة البطل سيف أن مدينة قيمر مرصودة بالسحر ومحصنة بالأبراج، ويشرف على حراستها السحرة وشخص اسمه " الغماز " الذي يتحسس وجود الغرباء حال دخولهم المدينة .

ت- يزودون البطل بالصفات الشخصية للخصم، وتكشف نقاط ضعفه مما يمكن للبطل الانتصار عليه ففي السيرة نجد أن الحكيمة عاقلة المسؤولة عن حماية المدينة أما لزوجة سيف المنتظرة وبمساعدتها للبطل تظلل السحرة، نقطة ارتكاز الملك قمرون بالألاعيب العجيبة وتسهل بذلك مهمة البطل ، كما تخفي سيف بأساليب متعددة في بيتها وتقنع الملك قمرون بجنون الحكماء والسحرة .

وغالبا ما يكافئ البطل مساعديه نتيجة مساعدتهم له فسيف يقوم بدفن الشيخ جياد بعد موته ويعد الحكيمة عاقلة بالزواج من " طامة " ابنتها كما حقق لأخته " عاقصة " العديد من الأمنيات .

ويكتسب البطل خلال هذه الرحلة أدوات سحرية وهي تقابل الوظيفة (14) الخاصة بحصول البطل على الأداة السحرية أيا كان نوعها وفي السيرة نجد أن البطل اكتسب عدة أدوات سحرية كقلنسوة الحكيم أفلاطون التي تخفي لابسها عن الأنظار وخاتم عبود خان الذي إذا أشار به إلى عدو فإن رأسه تنفصل عن جسده.

❖ ثم تغلق الوحدة الحكائية بعودة البطل إلى المكان الذي انطلق منه فيعود سيف إلى مدينة الملك أفراح وبصحبته كتاب تاريخ النيل وهي تقابل الوظيفة(26) الخاصة بنجاح البطل في مهمته.

– دوائر أفعال الشخصيات الحكائية:

تلتف وظائف بروب الإحدى والثلاثون حول سبع دوائر لأفعال الشخصيات الحكائية لا يمكن للدور الذي تؤديه الشخصية الحكائية أن يخرج عنها، وهي موزعة ضمن سبعة حقول عمل على النحو التالي :

1-**حقل عمل المعتدي (الشرير)**: ووظيفته إيذاء البطل أو أحد أفراد الأسرة وتتمثل في شخصية سقرديون / قمرون.

2- **حقل عمل المانح**: يختبر البطل ويمنحه الأداة السحرية وهي لا توجد في هذه المرحلة.

3- **حقل عمل المساعدة** : وهو الذي يساعد البطل على تجاوز الأخطار وتحقيق هدفه وتتمثل في عدة شخصيات : عاقلة/ الشيخ جياد / عاقصة/ عبد الصمد.

4- حقل عمل الأميرة: (أو الشخصية موضع البحث): وهي الشخصية التي يرغب البطل في الحكاية الوصول إليها والاتصال بها . وتتمثل في شخصية شامة بنت الملك أفراح.

5- حقل عمل الطالب : وهي الشخصية التي ترسل البطل لأداء مهمة معينة وهي نفس الشخصية الشريرة في المرحلة وهي شخصية سقرديون .

6- حقل عمل البطل: شخصية مثابرة مغامرة تدور حولها أحداث الحكاية وتتمثل في شخصية بطل السيرة سيف بن ذي يزن.

7- حقل عمل البطل المزيف: هي الشخصية التي تدعي البطولة وتحاول عبثا الاتصاف بصفات البطل ولكنه في النهاية يتم الكشف عنها[1] وهذه الشخصية غير متوفرة في هذه المرحلة .

ثانيا: البناء العاملي لمرحلة حصول البطل على كتاب تاريخ النيل في السيرة الشعبية :

لقد أحدثت جهود الباحث الفرنسي "غريماس" (1917-1992م) نقله منهجية نوعية في مجال دراسة النصوص الأدبية –بشكل عام- ودراسة الشخصية -بشكل خاص- ذلك أن غريماس حاول الربط بين المظاهر اللسانية والدلالية والسيميائية من جهة وبين السيميائية و علم السرد من جهة أخرى وهو ما أسفر عن تأسيس النظرية السيميائية السردية، فعد الشخصية بنية دالة من جهة، وعنصرا سرديا من جهة ثانية فسماها ممثلا "Acteur" بالنظر إلى تحققها في النص، وعاملا "Actant" في مستواها التجريدي. وتكمن أهمية بحوثه البنيوية و الدلالية و السيميائية في مجال تحليل الشخصية[2] .فيما يلي:

1- النموذج العاملي "le modèle Actantiel" :

يعد النموذج العاملي الذي أتى به غريماس وليدا ومكملا للأبحاث الشكلانية الروسية التي تناولت الحكاية الخرافية وخاصة أبحاث فلادمير بروب فقد رأى غريماس أن بروب أوضح مفهوم العوامل دون أن يضع المصطلح نفسه وخاصة عندما وزع الوظائف على سبع شخصيات أساسية، وهي التي اعتبرها بمثابة عوامل[3].

ويقوم النموذج العاملي على ستة عوامل تنتظم في محاور ثلاثة، والعامل عند غريماس هو «دور تقوم به الشخصية في مجرى الفعل»[4]. وقد يكون فرديا أو جماعيا، إنسانا أو حيوانا أو فكرة مجردة. مذكورا أو

[1] نبيلة ابراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ، ص 41.

[2] أمينة فزاري، سيمائية الشخصية، ص 56.

[3] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، مركز الثقافات العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1991، ص33.

[4] السيد امام، مدخل إلى نظرية الحكي، ص47.

يستنتج من خلال الحكي، بحسب تموضعه في المسار السردي للحكي.[1]وهذه العوامل الستة على النحو الآتي:

❖ **الفاعل"Actant"** : يمكن أن نسميه بطل القصة، لأنه يقوم بالعمل بغية الحصول على الشيء الذي يرغب فيه، فهي تلعب دور المحرك في الحكاية بحيث ترغب في الموضوع، وهذا ما يؤدي بها إلى ملاقاة عدد من المساعدين من جهة وعدد آخر من المعارضين من جهة أخرى.

❖ **الموضوع"le sujet"** : هو الذي تتجه إليه رغبة الذات أو الشيء المراد تحققه .

❖ **المرسل" le destinater"** : هو الذي يخلق الموضوع ويجعل الذات ترغب في شيء ما .

❖ **المرسل إليه" le destinataire "** :هو الذي يتجه إليه العمل المنجز من طرف المرسل. والمرسل إليه هو الذي يعترف لذات الانجاز بأنها قامت بالمهمة أحسن قيام.

❖ **المساعد" l'adjuvant"** : هو الدور الذي تتقمصه الشخوص الواقفة إلى جانب الذات الفاعلة أي هو الذي يؤازر الذات في مهمتها للوصول إلى هدفها.

❖ **المعارض"l'opposant"**: يمثل هذا الدور العاملي كل من يقف في طريق الفاعل معيقا له ومعرقلا لجهوده في سبيل تحقيق هدفه، وهو الذي يحاول جاهدا أن يمنع الذات من الحصول على رغبتها وبالتالي يعمل على عرقلة جهود الذات من أجل الحصول على الموضوع.[2]

وتنتظم العوامل الستة حول ثلاثة أنماط من العلاقات على النحو الآتي :

❖ **علاقة الرغبة:** متمحورة حول موضوع القيمة التي يسعى الفاعل على امتلاكه .

❖ **علاقة التواصل** : وتدور أساسا بين المرسل والمرسل إليه مع تتبع خطوات الفاعل الموظف للحصول على موضوع القيمة.

[1] السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية، ط1 ، منشورات الاختلاف، الجزائر،2000، ص16.

[2] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، ص 36.

❖ **علاقة الصراع** : تتميز هذه العلاقة بخلق الحواجز والعراقيل بين كل من رغبة(إرادة) الفاعل وعلاقة التواصل (موضوع القيمة) لنجد العامل المساعد مساندا يدفع الفاعل إلى ممارسة ومواصلة ما كلف به، من دون يأس أو خضوع أو استسلام، بينما يظهر المعارض ليقف دون ذلك، جاهدا لتوريط الفاعل في مآزق، تشكل حدة الصراع وزيادة في التوتر.[1]

ومن هذا المنطق نحصل على الشكل التوضيحي للنموذج العاملي :

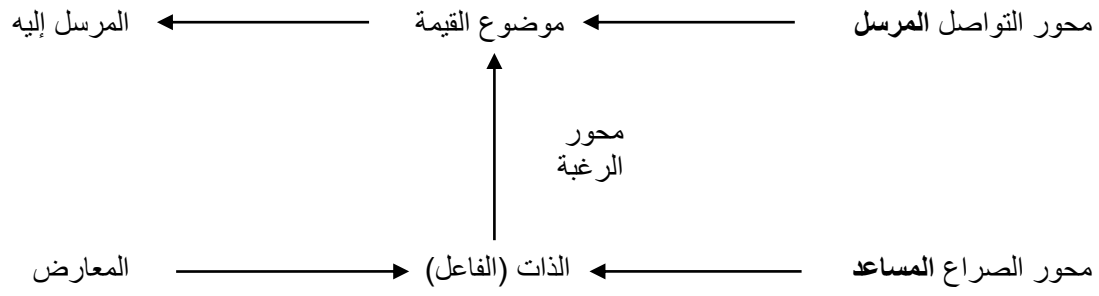

الشكل(1)*

وبتطبيق النموذج العاملي على الوحدة الحكائية (الحصول على كتاب تاريخ النيل) نحصل على المخطط الآتي :

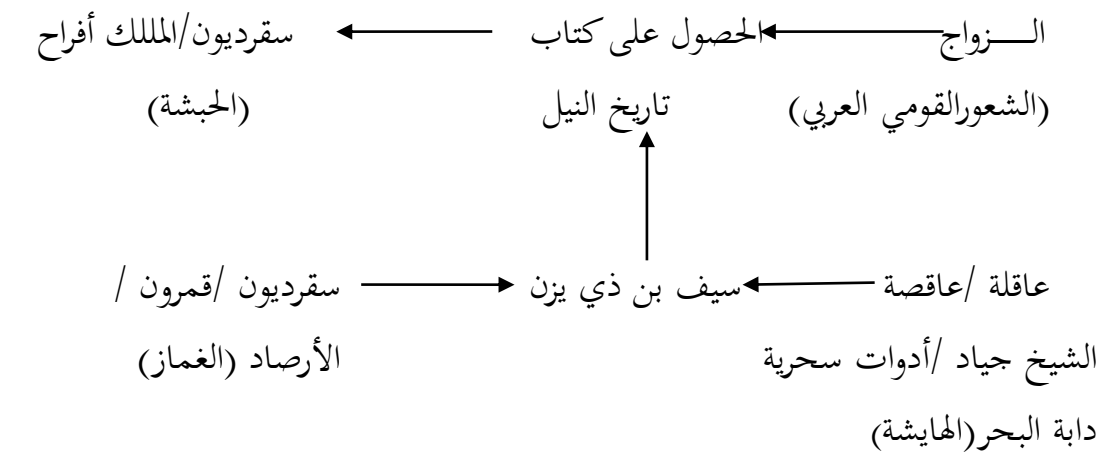

[1] نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية،دط،الأمل للطباعة والنشر،الجزائر،ص48.

*الشكل(1): مقتبس من: السعيد بوطاجين، الاشغال العالمي دراسة سيميائية، ص16.

إذا كان وجود البطل في كل حكاية شعبية ضرورة لازمة لأنه يشكل استجابة لحالة إجتماعية ماسة فهو أيضا استجابة لحاجة بنيوية ملحة أيضا ، فنحن نعايش في كل حكاية بطلا و نسير معه في تحقيق رغبته .

و من خلال قراءتنا للمخطط المرفق نجد أن الرغبة في الزواج من شامة ابنة الملك أفراح كان بمثابة المرسل او الدافع الذي أدى بالذات الفاعلة (البطل) الاتصال بالموضوع و هو الحصول على كتاب تاريخ النبل، و يتبين ذلك من خلال عزم البطل في السيرة على القيام بالمهمة ، كما أننا نلاحظ ان تحقيق رغبة البطل هو في نفس الوقت تحقيق لرغبة الشعور القومي العربي. فتنتقل البطولة من رغبة فردية الى رغبة جماعية لأن الهدف الظاهر في السيرة يتمثل في أن البطل يريد الحصول على كتاب تاريخ النبل كحلوان طلبة سقرديون من أجل إتمام الزواج من شامة محبوبته و لكنه في الباطن يضمر هدفا عميقا و هو رغبة الشعور القومي العربي بجريان نهر النيل و لا يتحقق ذلك إلا بحصول البطل على كتاب تاريخ النيل ، فكان الشعور القومي العربي بمثابة المرسل الثاني الذي يؤدي بالبطل الى الاتصال بالموضوع .

و من خلال دراستنا للعامل المرسل إليه نجد أن الشخصيتين اللتين تعترفان بذات الانجاز أنها قامت بالمهمة أحسن قيام هما الشخصيتان سقرديون و الملك أفراح اللذان يمثلان الحبشة السودان أعداء العرب.

و ضمن علاقة الصراع يتعارض عاملان أحدهما يدعى المساعد و الآخر المعارض فإذا كان الأول يقف بجانب البطل فإن الثاني يعمل دائما على عرقلة جهوده و هذه العوامل سواء المساعدة أو المعارضة متنوعة بعضها غيبي و بعضها إنساني و بعضها حيواني و بعضها جماد يتمثل في أدوات سحرية .

و خلال رحلة البطل سيف للحصول على كتاب تاريخ النيل يتلقى البطل العديد من المساعدين الذين سهلوا له مهمة الوصول الى موضوع القيمة و الهدف الذي يسعى اليه البطل و منهم: أخته الجنية عاقصة و عاقلة الكاهنة التي تدبر الأمور لقمرون ملك المدنية التي بها كتاب تاريخ النيل، و الشيخ جياد و الحيوان الأسطوري البحري

و استعان بأدوات سحرية سهلت له المهمة و حطمت له العقبات و خلاف ذلك فقد تلقى البطل مجموعة من الصعاب متمثلة في عدد من المعارضين أولهم شخصية سقرديون و هو حكيم عند الملك أفراح و مدبر الأمور عنده، و الذي عرقل زواج البطل من شامة ثم المعارض الثاني و هو شخصية الملك قمرون الذي يعرقل مهمة البطل في الحصول على كتاب تاريخ النيل باعتباره الحارس له و ذلك بفضل شخصية الغماز الذي يترصد دخول الغرباء الى المدينة التي بها كتاب تاريخ النبل.

و لاشك أننا نلمس كدراسين تلك النهاية الاستشرافية لأحداث هذه المرحلة من السيرة عامة و للبطل خاصة و هذه النهاية تتمثل في حصول البطل على كتاب تاريخ النيل فالبرغم من المهمة الصعبة التي كلف بها إلا أنه أثبت بطولته و تفوقه من خلال نجاحه في الحصول على موضوع القيمة.

2- المربع السيميائي :

المربع السيميائي عند غريماس هو"التمثيل المرئي للتمفصل المنطقي لمقولة دلالية ما"[1] ويرى غريماس أن الدلالة لا تستنبط من سطح النص فحسب وإنما يتم استجلاؤها انطلاقا من نظرة توليدية.[2]

ويعرفه الدكتور عبد الحميد بورايو بأنه"صياغة منطقية قائمة على نمذجة العلاقات الأولية (التأسيسية) للدلالة القاعدية التي تتلخص في مقولات : التناقض والتقابل والتلازم فهو نموذج توليد ينظم الدلالة ويكشف عن آلية انتاجها عبر ما يسمى بالتركيب الأساسي للمعني"[3]

وفيما يلي مخطط المربع السيميائي :

[1] نادية بوشفرة، مباحث في السيميائيات السردية،ص104.

[2] فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1،منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص230.

[3] عبد الحميد بورايو، المسار السردي وتنظيم المحتوى، دار السبيل، الجزائر،2008،ص28.

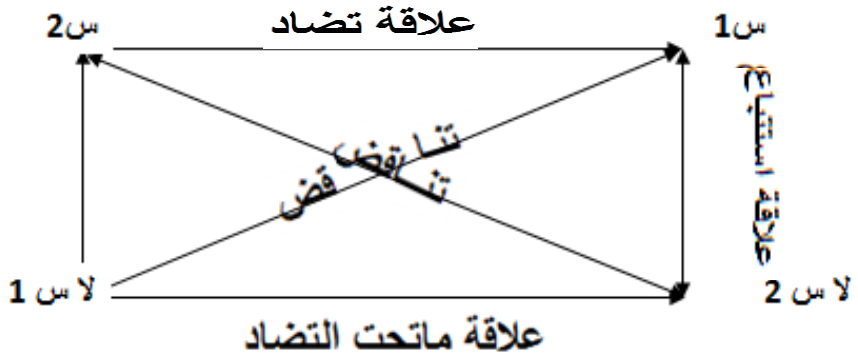

*الشكل(2)

- علاقة التضاد: (س1 و س2)
- علاقة التناقض: (س1 ، لا س1) و (س2 ، لا س2)
- علاقة استتباع (التشاكل) : (س1 ، لا س2) و (س2 ، لا س1)
- علاقة ما تحت التضاد : هي مماثلة إلى أبعد الحدود لعلاقة التضاد بحيث نجد العديد من الباحثين يمزجونها تحت اسم علاقة واحدة (علاقة التضاد) وتكون بين (لا س1 ، لا س2) .

هذا الشكل العام ، أما إذا أردنا استخراج العلاقات المتحكمة في البنية العميقة لهذه الوحدة الحكائية فإننا نجد التالي:

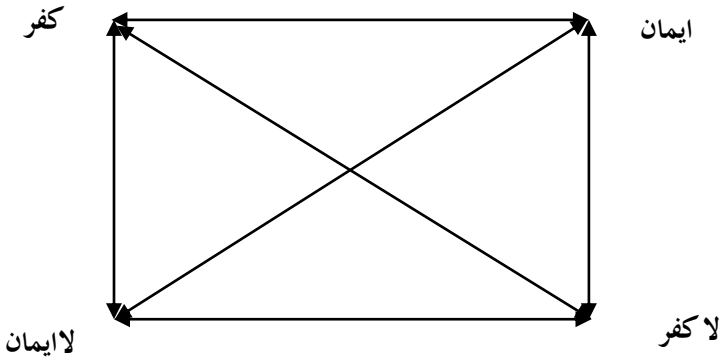

إن مفهوم علاقتي الوصل و الفصل ضروري لتفسير العلاقات البنيوية و بالعودة الى أحداث هذه المرحلة من السيرة نجد أنها كانت في حالة وصل بالبعد الدلالي ، ألاو هو الايمان، فمن خلال هذه الأقطاب

*الشكل(2) مقتبس من فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص231.

الدلالية الأربعة المشكلة للمربع السيميائي تنشأ علاقات مختلفة تولد دلالات جديدة نوضحها من خلال العلاقات التالية :

-علاقة التضاد: بين (الإيمان و الكفر)

-علاقة ما تحت التضاد: بين (لا إيمان و لا كفر)

-علاقة إستتباع: بين (إيمان و لا كفر) (كفر و لا إيمان)

-علاقة التناقض:بين (إيمان ولا إيمان) (كفر ولا كفر)

***دراسة الثنائيات الضدية من خلال المربع السيمائي :**

لكي نتعرف على مجتمع ما لابد من دراسة إنتاجه الأدبي و تعتبر السيرة الشعبية الصورة الحقيقية التي عبر بها الشعب عن خلجاته النفسية و إهتماماته الروحية ،فمن خلال دراستنا للسيرة نستخلص الواقع المعاش الذي كان سائدا في الفترة التي رويت فيها و البطل هو شخصية يخلقها الخيال الشعبي ليكون الممثل لقيمها و مبادئها.

و من هذا المنطلق شرعنا في إستخراج الثنائيات الضدية التي إشتملت عليها هذه المرحلة من السيرة ، ثنائيات مثلت أبعادا دينية و اجتماعية ... للمجتمع الذي تولدت منه و من الثنائيات المتعارضة ذات الدلالات العميقة نجد:

1- ثنائية (الكفر/ الإيمان): و هذه الثنائية قائمة بين قطبين و هي تنم عن وجود تعارض بينهما في السيرة و هذا الصراع ناتج عن ذلك الإختلاف الجنسي (العرقي) والديني بين مختلف الشخصيات. وهذا الاختلاف يعد البؤرة المركزية التي تقوم عليها الأطر والدعامات الأساسية لأحداث السيرة وهي متمثله في فئتين : شخصيات مؤمنة متجسدة في العرب البيض الموحدين المؤمنين بابراهيم الخليل عليه السلام وبرسالة محمد رسول أخر الزمان صلى الله عليه وسلم وبين شخصيات كافرة متجسدة في الحبشة السودان عبدة النجم وزحل من دون الله عز وجل.و ديانات وثنية أخرى مشركة.

وتتجلى هذه الثنائية على مستوى السيرة من خلال الألفاظ الدالة عليها كذكر أسماء الله الحسنى (الرحمان ،الرحيم،القدوس.....) وأسماء بعض الأنبياء والمرسلين (نوح ،سليمان عليه السلام...) وبعض الأماكن المقدسة كالكعبة المشرفة كما تتجسد أيضا من خلال المرويات التي تدل على تأثر الرواة الشعبيين بالدين كقصة الاسراء والمعراج ،فقد وجد الرواي الشعبي فرصة سانحة ليتخذ من عناصر قصة الإسراء والمعراج موضوعا يدخل في تكوين السيرة وذلك من خلال مثلا ركوب البطل سيف بن ذي يزن الهايشه التي طارت به الى أجواء العالم الخفي في أقل من لمح البصر.

كما تجسد جانب الكفر من خلال الألفاظ الدالة عليه فقد عبر الراوي في أكثر من موضع عن عدة ديانات وثنية كعبادة سكان مدينة قيمر التي ملكها قمرون لكتاب تاريخ النيل في قوله "إن هذا الكتاب هو معبود أهل مدينة قمرون ولم يعرفوا لهم معبودا سواه"

ومن هذا المنطلق نجد أن شخصيات السيرة تنقسم الى :

أبيض(موحد) ⟵ صراع ⟶ أسود (غير موحد)

العرب المسلمون، الحبشة ،قمرية،سقر ديون

البطل سيف،الشيـــخ سقرد يس، سيف أرعد....

جياد ،الشيخ عبدالسلام ...

2) ثنائية (ظلم/عدل): لطالما سعت البشرية في الحياة الى التخلص من الظلم وإرساء المساواة والعدالة بين أفراد المجتمع وعلى هذا الأساس نجد أن المجتمع العربي لم يخرج عن هذا المبدأ بل سعى إلى تكريسه والدليل على ذلك ماعكسته أحداث السيرة ؛ فالشخصيات التي تدافع عن إقامة العدل تحصل على حقها وتحقق أهدافها في حين أن الشخصيات التي تعمل على تخليد الظلم شخصيات تكون نهايتها الفشل والخسارة فوالدة سيف مثلا هي من الشخصيات المستبدة الظالمة تكن الكره والظلم والغدر لإبنها البطل ولهذا جعل الرواي الشعبي نهايتها الموتة البشعة وشخصية قمرية والدة البطل في السيرة هي رمز إلى الحكام المماليك الذين تكالبو على الحكم و السلطة في ذلك العصر ،فكأن الراوي أراد منها مثالا لهؤلاء

السلاطين الذين كانو يغدرون بعضهم البعض من أجل السلطة فهو يشير إلى أن حتى الوالدة منهم لا تتاثر بإلحاق الضرر بإبنها في سبيل الملك والسلطة ، في حين نجد أن البطل وهو من الشخصيات التي تدافع عن الحق والعدل يصل الى أهدافه ورغباته مهما واجه من صعوبات ،فالمخيال الشعبي لديه الثقة بأن قوة الايمان التي تدعو إلى العدل تكون ناصرة بلا منازع للمسلم المظلوم .

3) ثنائية(الحياة/الموت): لقد شغلت فكرة الموت الانسان منذ وجد على وجه الأرض ولهذا ظل الصراع بين الموت والحياة صراع يشغل الانسانية وأصبح الانسان بدوره يبحث عن سبل العيش ويتمسك بها من أجل الحياة.

وتنقسم شخوص السيرة وفقا لذلك الى شخوص تدفع إلى الحياة وإلى النمو والتطور لصالح الإنسان والحياة، وشخوص أخرى معارضة لتطور الحياة وتدعو إلى الموت، ونماذج الشخوص الأولى والثانية يعيش بعضها في عالم الإنس و يعيش بعضها في العالم الخفي، أي أن عناصر الكون كلها الظاهرة منها والخفية قد تسهم في تطور الحياة وقد تكون معيقة لهذا التطور، وأكثر مثال يمثل تطور الحياة هو شخصية البطل سيف بن ذي يزن فهي شخصية طموحة تتحدى الصعاب من أجل التطور والمضي قدما نحو حياة أفضل هادفا إلى تغيير سلبيات الواقع مهما كلفه ذلك من ثمن، مع وجود شخصيات مساعدة لذلك في حين نجد أن شخصية قمرية،سيف أرعد ،سقرديون..... كلها شخوص معارضه للحياة وتدعو الى الموت.

ولقد تجلت صورة الحياة في السيرة من خلال الألفاظ والرموز الدالة عليها وأكثر الصور دلالة هو توظيف نهر النيل والنهر هو الدلالة على الماء والماء هو رمز الحياة لقوله تعالى

"أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ " سورة الأنبياء الأية 30.

فالماء هو الدلالة على الخصب وبوجوده تتطور الحياة وتزدهر كما أنه رمز للطاهرة والنقا.

والوجدان الشعبي العربي حمل البطل سيف أعباء مهمه الحصول على كتاب تاريخ النيل لأن بدون هذا الكتاب لايجري نهر النيل فنشأ صراع نتيجة لذلك بين شخوص تساند البطل للحصول على هذا الكتاب وبذلك تساعد في تطور الحياة وبين شخوص معارضة لمسيرة البطل لكي لايحصل على كتاب تاريخ النيل وبذلك تمنع تطور الحياة.

كما تجلت صورة الحياة في أشياء أخرى معنوية تنضوي تحت معاني الحياة ،وتتمثل في الايمان ،الصدق ،الطهارة، العفة، الوفاء، النصر...

وأما الموت فقد تجلى في صورة الحروب والصراعات والقتال كما تجلى في صورة النفاق والخيانة والحسد والخوف وكلها دلالات معنوية توحى بأن وجودها هو موت لحياة الانسان حتى لوكان على قيد الحياة.

4) ثنائية (طبيعة / ثقافة):

تظهر من خلال السيرة الشعبية العديد من مظاهر الطبيعة و الثقافة التي رسمتها المخيلة الشعبية و مثلت أبعادا ثقافية نذكر منها(الولي الصالح .ضرب الرمل.السحر...). فأما الولي الصالح فهو في حقيقته إنسان من جملة البشر، إلا أنه في ذاكرة المجتمع العربي له مفهومه الثقافي الخاص فهو شخصية لها مكانتها في الثقافة الشعبية لأن المخيلة الشعبية أضفت عليه من الصفات و القدرات ما أسهم في بناء المعتقد الشعبي حول هذه الشخصية التي تصب في كونها منقذة من الأزمات التي تستعصي أو تستحيل على الإنسان، لكونه شخصية مزودة بالكرامات الإلهية فشخصية الشيخ جياد و الشيخ عبد السلام ترمز إلى الولي الصالح في السيرة الشعبية ،فقد جعل الراوي شخصيتهما مزودة بعلم الغيب فالشيخ جياد مثلا يُعرف البطل على اسمه و يحدد له مصيره المستقبلي . و لا يكتفي بمساعدة البطل عند حياته فقط بل جعلت المخيلة الشعبية مساعدته تمتد حتى عند وفاته . فعند وفاة الشيخ عبد السلام و الشيخ جياد تجسدت روحهما على شكل طائر أبيض و أنقذت البطل في وقت أزمته عندما أصيب من جراء مكائد والدته له(القصة مذكورة في مرحلة زواج البطل من شامة وتخلص البطل من أمه الشريرة)، و الطائر الأبيض يلعب دورا غيبيا ومقدسا في المخيلة الشعبية فهو جزء من المعتقدات والطقوس

و له دلالة انثروبولوجية مميزة فالطائر رمز فصيلة الحيوانات التي تعيش مع الإنسان و لونها الأبيض يدل على الوداعة والبراءة والسلم.

و من المعتقدات الثقافية الشعبية الراسخة في المجتمع العربي هو اتخاذ الرمل وسيلة للتنبؤ بالغيب و الرمل من أساسيات البيئة الطبيعية الصحراوية و أحد عناصرها و لشدة ارتباطهم بالأرض (الرمل) جعلو منه وسيلة اطلاع على الغيب فيشرب وزير الملك ذو يزن والد البطل تنبأ بقدوم سيف ابنه عن طريق ضرب الرمل .كما يلعب السحر دورا هام في حياة العربي ،و لكن المخلية الشعبية أرادت أن تكشف من خلال السحر إحدى السلبيات التي تعوق الذات القومية ،و نعني ظاهرة الاعتقاد بالسحر التي ظلت جذورها كامنة في المجتمع و لهذا كانت السيرة تدعو إلى محاربة المعتقد السحري المهيمن على العقول لتحل محلها ملة التوحيد و ليستعيد الدين دوره التنويري، فكانت السيرة حرب بين السحر و الدين التي يكون النصر فيها للدين دائما، فكهنة قمرون ملك المدينة التي بها كتاب تاريخ النيل رغم علمهم بالسحر إلا أن المبدع الشعبي جعلهم يفشلون في كشف البطل عند دخوله إلى المدينة للحصول على كتاب تاريخ النيل. بينما البطل الحامل للواء الدين جعله ينتصر عليهم لأنه مؤيد بالقوة الإلهية التي لا يهزمها أي قوة .فالراوي أراد أن يثبت أن قوة الدين والإيمان بالله دائما تنتصر على قوة السحر مهما تفوق.

5) ثنائية (الوحدة /التشتت):

إن العلاقات الإنسانية هي المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه المجتمع ، فإذا استند المجتمع على أسس إجتماعية و علاقات منظمة قائمة على الوحدة و التعاون و المحبة فإنه يكون مجتمع مثالي يمضي قدما نحو تحقيق الخير و النجاح و السلام، و في المقابل إذا لم تكن أواصر المجتمع غير مترابطة و مشتته فإنها تعيقه عن تحقيق أهدافه، و يكون مجتمع فاشل يسوده الفوضى و الفساد.

و المجتمع العربي كغيره من المجتمعات راح يحلم من خلال السيرة إلى إرساء سبل الوحدة و التعاون، فالمبدع الشعبي رمز لذلك حين جعل لبطله و لدين أحدهما مصر الذي يحكم مصر بعد جريان نهر

النيل و الثاني دمر الذي يملك الشام و يعمرها .و كأنما أراد كتاب السيرة أن يضع أمام الشعب العربي كله صورة رمزية لمعنى وحدته و أصالته .و كأنما أراد أن يجعل من وحدة الدم سندا للوحدة السياسية ووحدة الكفاح .فكاتب السيرة أراد أن يرسم صورة الوحدة العربية متمثلة في ذلك البطل العربي اليمني الذي يحارب للمسلمين حربا دينية حقيقية تريد أن تثبت معالم الإسلام في دين الجزيرة العربية ثم ينجب و لدين أحدهما مصر و الثاني دمر، أحدهما يتولى حكم مصر و إنشائها و الثاني يتولى حكم الشام و إنشائها و هما أخوان من أب واحد يواجهان مصيرا واحدا، و يربطهما تاريخ مشترك واحد، ليقودا كفاحا ضد عدو واحد .فهنا دعوة من طرف المبدع الشعبي إلى المجتمع العربي يقرر فيها أن رابط الوحدة العربية هو الذي يؤدي إلى تقرير المصير نحو حياة آمنة ويحقق بذلك بناء دولة مثالية ومزدهرة، وقد حقق حلمه من خلال السيرة فكان نتيجة هذه الوحدة هو جريان نهر النيل وإعمار مصر والثاني يملك الشام ويعمرها .كما صورت السيرة الشعبية الحاكم العادل الصالح الذي تحلم به الجماعة الشعبية العربية ولم يكن هذا الحاكم سوى فرد من أفراد الشعب ،و هو الذي يحس بآلام الجماعة ويحسن مخاطبة أفرادها ويتعامل معهم بلطف و يقيم العدل و ينشر السلام في جميع بقاع الأرض و كل هذه الطموحات متجسدة في شخصية بطلها الذي هو عبارة عن رسالة تقدم إلى الحكام المستبدين الظالمين في ذلك العصر فكأن الراوي الشعبي يرسم صورة الحاكم العادل الذي يحلم به في شخصية البطل.

المبحث الثالث: مقومات وصفات البطل سيف بن ذي يزن في السيرة الشعبية :

يعتبر البطل محور السيرة الشعبية وركنها الأساسي فاسمه هو عنوانها وحياته هو مجالها وموته هو نهايتها وباعتبار البطل هو الحامل للواء البطولة فإن المخيلة الشعبية قد أضفت على شخصيته مجموعة من المقومات والصفات الأسطورية في الغالب التي تجعله أهلا لتحمل هذه المسؤولية التي حملها الشعب على عاتقه .

أولا: مقومات البطل الشعبي قي السيرة الشعبية :

تقوم شخصية البطل على عدة مقومات تساهم في تكوينها وتميزها عن غيرها،والبطل يرمز إلى القيم السائدة في ثقافة معينة،فالبطولة لا يمكن أن تكون لها مقومات إلا التي تشتق من أمتها وشعبها، والبطل يظهر فردا خارقا وإنما هو خارق بفعل مجتمعه.[1] ومن مقومات البطل في السيرة نذكر:

1) الميلاد غير المرغوب فيه : تعتبر لحظة ميلاد البطل المقدمة الفعلية للسيرة، لأنها تبنى عليه أحداثها، وتكشف دور البطل وتحمل بذور تطور النص وحركته نحو المستقبل، ومما نلاحظه أن معظم أبطال السير غير مرغوب في ميلادهم وهي تحمل أكثر من دلالة على صعيد الحكي، لأنه سيؤكد العديد من الأفعال الحكائية التي تزيد من تعقيد الأحداث وتناسلها وتضع البطل في أوضاع مختلفة تساهم مجتمعة في إضفاء الطابع الخاص على شخصيته وتفرض عليه تبعات عليه أن يتحملها حتى النهاية2. ومن خلال قراءتنا لمدخل السيرة نجد ذلك الرفض الذي لحق بولادة سيف بن ذي يزن من طرف والدته بل تعدت ذلك إلى الرغبة في التخلص منه ورميه.

2) تميز البطل عن غيره في ظروف الميلاد: إن الراوي الشعبي يلجأ إلى سرد أحداث ووقائع غريبة وعجيبة تلازم عملية ولادة البطل، وذلك ليضفي على شخصية البطل لمسة عجائبية بغية التأكيد والإصرار على مدى أهميته في سير جميع الأحداث فيما بعد، فنجد في السيرة أن البطل عند ولادته ترميه

[1] رئيف حوري، البطولة في أدب الأطفال، مجلة الأداب، المؤتمر الرابع للأدباء العرب، الكويت، العدد 1، 1958، ص 14.
[2] سعيد يقطين، قال الراوي، ص 119.

أمه وترضعه غزالة، كما أن الحكيم سقرديون يخبر الملك أفراح أنه وجد في الكتب القديمة والملامح العظيمة: « أنه يولد من نسل سام ولد يقال له سيف.... ويكون له شأن أي شأن يحكم على الإنس والجان.... » [1] .

وأن لهذا الولد شامة على خده وهو الذي سيقوم بتنفيذ دعوة نوح عليه السلام، ومن دلائل تنفيذها التقاء شامته بشامة أخرى. فهاته الظروف التي يرسمها الراوي تجعل المروي له في حالة ترقب للأحداث التي سوف تقع من جراء ولادة هذا البطل، وهي مقوم من مقومات بطولته التي سوف تتحقق فيما بعد.

3) اليـــتم : يتمثل اليتم في السيرة من خلال وفاة الأب، فسيف بن ذي يزن توفي أبوه وهو لم يولد بعد، وحرمانه من الأبوة جعله عرضة للمخاطر حتى من أقرب الناس إليه أمه الحاقدة عليه .

واليتم عامل أساسي في توليد الحكي لأنه مقوم يغرس في البطل الرغبة الملحة في محاولة فرض وجوده بكل الأشكال .

4) غربة البطل: يدفع الميلاد غير المرغوب فيه بالبطل أن يعيش خارج مكان ولادته، فيغترب البطل وتكون نتيجتها فقدان التوازن بينه وبين مجتمعه المحيط به، والذي أرغم على العيش فيه، فهو يعيش وجودا زائفا. وهذا ما يجعل غربة البطل مقوم من مقومات بطولته من خلال أن البطل نتيجة ذلك سعى جاهدا للبحث عن حقيقته، راغبا في العودة إلى أسرته ومجتمعه لإعادة التوازن والإنسجام، ونلاحظ من خلال السيرة أن غربة البطل تتمثل في : الغربة المكانية إذ ابتعد عن وطنه ومسقط رأسه بوصوله إلى مدينة الملك أفراح، وغربته عن ذاته إذ لم يتعرف البطل على أصله ونسبه وحتى اسمه، وغربة كونية إذ اغترب عن عالم الإنس الذي كان يعيش فيه ليعيش في كنف جنية ورعايتها له مدة ثلاث سنوات.

5) نسب البطل(التأصيل): من مقومات البطل أن يكون ذا أصل نبيل فلا يمكن للبطل من منظور المخيلة الشعبية إلا أن يكون شريفا، كما أن تأصيل نسب بطل السيرة قوميا وتاريخيا ضرورة ملزمة في

[1] السيرة، مج 1؛ ص 32.

السير الشعبية، فهو فضلا عن كونه عربيا يرتفع بنسبه إلى أجداده العرب فإنه يرتبط دينيا وتاريخيا بسلالة الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم[1] ، وفي السيرة يجعل الراوي بطله ذا أصول نبيلة ملكية ويُرجع نسبه إلى سام بن نوح في قولة : «سيف بن ذي يزن ابن الملك التبعي اليماني ابن الملك أسد البيداء بن الملك سام أخي حام وجدك نوح عليه السلام »[2]

6) الحسن والجمال ووجود علامات خاصة :

إن البطل في السيرة الشعبية يصور على أنه الرجل المثال الكامل التكوين، فالملك سيف بن ذي يزن يقدمه لنا الراوي على أنه كامل الأوصاف «فجاءها الطلق فوضعت غلاما ذكرا كأنه البدر إذ بدر في ليلة أربعة عشر على خذه شامة خضراء كما كانت على خد أبيه لأن ملوك التبايعة تعرف بها من قديم الزمان»[3].

كما أن مبالغة الراوي في تقديم صورة الجمال لدى البطل دليل على ما يمكن توقعه من احتمالات حكائية متعددة تدور حول " العشق" وهي من التيمات المحفزة للحكي ومولدة للأحداث والصراعات التي تبرز فيها قوة البطل، فسيرة سيف تزخر بكثرة غراميات البطل، فهو يجمع بين شرف النسب والوجاهة والجمال مما جعل الكثير من الفتيات يسحرن له لدرجه أنهن رغبن بشدة في الزواج منه، فهذه شامة بنت الملك أفراح تصفه في قولها : «أيها الشاب المليح الذي وجهه بدر يخجل المصابيح »[4].

وهذه طامة بنت الحكيمة عاقلة « تتأمل في صورته وتميز حسنه وجماله وما كساه الله تعالى من البهاء والقد والاعتدال ومال قلبها إلى محبته »[5].

[1] عبد الله ابراهيم، السردية العربية، ص 185.
[2] السيرة، مج1 ، ص 132.
[3] السيرة، مج1، ص 26.
[4] السيرة، مج1، ص44.
[5] السيرة، مج1، ص 81.

– فبالرغم من أن الحسن والجمال هي من مواصفات البطل غير أنها مقوم من مقومات بطولته حيث أن الكثير من الفتيات اللاتي عشقن فيه ساعدنه على تجاوز الكثير من المخاطر وكن طرفا مساعدا للبطل في الوصول إلى أهدافه .

– كما نلاحظ أيضا أنه بالإضافة إلى جمال البطل هناك علامات خاصة تميز البطل، فسيف وكل التبابعة يتميزون بشامة موجودة على خدهم، وكل الذين أوتوا نصيبا من الغيبيات كانوا يتعرفون عليه بواسطتها، ويمكن أن نستخلص مقومين أساسيين من خلال وجود هذه العلامة الخاصة فالمقوم الأول هو الجانب الوراثي للبطل حيث لعب دورا أساسيا في تحديد مساره مستقبلا فهو من سلالة ملوك التبابعة وهي تدل على شرف النسب. والمقوم الثاني أن وجود هذه العلامة تحدد هوية البطل عن غيره لذلك نجد أن الحكيم سقرديون تعرف على البطل من خلال وجود هذه الشامة على خده.

7) الاسم : تتعدد أسماء الأبطال ففي كل لحظة من حياتهم يتخذ لهم اسم جديد، فالبطل يعطي له اسم عند ميلاده لكن نشأته خارج موطنه الأصلي تجعله يحمل أسماء متعددة حتى ينتهي إلى اسم نهائي يشتهر به عن بقية الأسماء[1]، فبطل سيرتنا سماه الملك أفراح " وحش الفلا " لأنه عثر عليه في ذلك البر والخلاء ، ثم يستعيد البطل اسمه الحقيقي الذي عرفه به الشيخ جياد في قوله «يا ولدي اسمك الحقيقي سيف بن ذي يزن على أهل الكفر و المحن »2 . أما في نهاية السيرة فسماه الخضر عليه السلام بـ " الجيوشي " لكثرة ما جمع من الجيوش .

- و نلاحظ أن كل اسم من أسماء البطل في السيرة الشعبية يرتبط ارتباطا وثيقا بلحظة من لحظات تطور المسار الحكائي، ويكشف لنا هذا على أننا أمام شخصية متحولة باستمرار، و في مجرى هذا التحول تنجز العديد من الأفعال الجديدة التي تلبس شخصية البطل في كل مرحلة بلبوس جديد

[1] سعيد يقطين، قال الراوي، ص 120.

[2] السيرة، مج 4، ص 446.

* و يعتبر الإسم مقوم من مقومات البطل لأن الاسم الذي يحمله البطل هو مفتاح للعديد من الأبواب المرصودة و الأماكن العجيبة، إذ يكفي للبطل سيف أن يتلو حسبه و نسبه حتى تتفتح له الأماكن المرصودة التي لا مفتاح لها سوى ذكر اسمه، فسيف مثلا عندما أراد أن يحصل على اللوح المرصود من قصر سام بن نوح قال له اخميم الطالب « امش إلى هذا القصر الذي قدامك و أطرق بابه فإذا سمعت القائل يقول: من بالباب؟ تقول لهم : أنا سيف بن الملك ذي يزن بن تبع اليمان بن الملك أسد البيداء إبن الملك سام أخوا الملك حام و جدي نوح عليه السلام، فإذا سمعوا منك ذلك يفتحون لك الباب »[1]

و يرى عبد الحميد بورايو أن الرواة يولعون بترديد الألقاب التى تطلق على الأبطال و هي ألقاب توحي بحجم القوة و القدرة غير العادية لهؤلاء الأبطال و تجعلهم يتميزون عن غيرهم[2] .

8) الدين: لا ريب في أن الإيمان بالله عز وجل يقف على قمة البواعث التي تبعث على البطولة والمتخيل الشعبي في هذه السيرة لم يحرم بطله منها، ذلك لأن الإيمان الحق هو قوة مبدعة خلاقة. والسيرة الشعبية جعلت من الدين مقوم أساسي من مقومات البطل، فقوة البطل في نظرهم فيض من نبع القوة الإلهية فهي قوة روحية تدافع عن الحق وتسعى لإقامة النظام، وتظهر هذه القوة في شخصية البطل من خلال الاستعانة بالله التي تكون في شكل خفي ذي طبيعة معنوية خاصة ما إذا كان البطل يحارب قوى بشرية وقد تكون قوة متجسدة في ذكر اسم الله أو البسملة أو أية قرآنية، فنجد في السيرة مثلا أن الاستعانة بالله هي مفتاح الأزمات التي يقع فيها البطل، ففي رحلة سيف للحصول على كتاب تاريخ النيل وصل إلى مدينة «...فتجارى إلى نحو الملك سيف أهل المدينة كبارا وصغارا ومالوا عليه وداروا به من كل جانب ومكان، فنظر الملك سيف إلى ذلك الحال فوضع يده في السيف وقال الله أكبر وقاتل وما قصر كأنه الليث»[3]

وبفضل الاستعانة بالله استطاع البطل الانتصار عليهم في النهاية.

---

[1] السيرة، مج 1 ، ص 151.

[2] عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطلة الضحية، ص 37.

[3] السيرة، مج1، ص76.

ثانيا: صفات البطل الشعبي :

من منظور المتخيل الشعبي أن يتصف البطل بمجموعة من الصفات تؤهله لأن يكون ممثلا للجماعة والمثال الذي يقتدى به، والذي سوف يحقق المثل العليا التي تتطلع إليها الجماعة الشعبية وأبرز هذه الصفات نجد :

❖ **الشجاعة** : إذا كانت الشجاعة صفة يتصف بها الأفراد العاديون فإن شجاعة البطل الشعبي تتميز بخصوصيتها، فالبطل في نظر الشعب متفوقا في صفاته الجسدية عن بقية أقرانه، وتظهر قوته في فروسيته التي يتصف بها منذ طفولته، ففي السيرة نجد أن البطل سيف عندما أصبح من العمر سبع سنوات اشتاق إلى ركوب الخيل فأمر الملك أن يأتو بمهر صغير فغابوا وعادوا ومعهم ذلك المهر فلم يرضى بركوبه «فأتوا له بجواد أدهم الليل إذا أظلم يطوي الأرض بالخبب تربيته ملوك العرب فلما رآه أعجبه غاية العجب فركبه واعتدل فوق ظهره فطلب رمحا وسيفا صقيلا ... وبعد ذلك نزل إلى الميدان وترامى مع الصبيان فصار يضرب هذا ويرمي هذا من على الحصان ويغلب هذا في الميدان مدة من الزمان».[1] فإذا كان البطل فارسا متفوقا في طفولته فما بالك عندما يصبح كبيرا .

كما تظهر شجاعته في قوته في ساحة المعركة فتصوره السيرة على أنه فارس قوي جبار يلحق الهزيمة بعدد كبير من الجنود والفرسان المجتمعين فالبطل سيف يواجه لوحده جيشا بكامله دون أن يخاف فيرمي بنفسه في ساحة الوغى «ويضرب ضربا لا يبقى ولا يذر وكان الحسام الذي أخذه من الحاجب فصال فأباد به الجماجم و الأوصال وأجرى الدماء مثل السيل السيال وسطح الأجساد في تلك البقعة وملأها جثثا»[2] وبالإضافة إلى شجاعة البطل مع أقرانه من البشر فإن المخيلة الشعبية تجعله يقهر حتى الحيوانات الأسطورية، فالبطل سيف يتصدى لثعبان فاجر لم يقدر على قتله أي فارس فتروي لنا السيرة كيفية مواجهته له ؛صعد الملك سيف التل العالي فشم الثعبان رائحته فخرج من وكره وإذا به قدر النخلة

[1] السيرة، مج 1، ص36.

[2] السيرة، مج 1، ص86.

السحوق وله ذوائب مثل النساء ومن فمه يخرج كالنار ذات الشرر ونفسه يخرج منه الدخان فيصل إلى العنان، ويبالغ الراوي هنا في وصف قوة خصمه حتى يثبت لنا أن البطل أكثر منه قوة وجبروتا حيث يصف البطل في قوله «فلما رآه الملك سيف صاح الله أكبر الله أكبر ..... فضربه الملك سيف بالسيف فقطع رقبته وصبر عليه وهو يتخبط في دمه حتى علم أن روحه خرجت من جميع أعضائه ومات وصار رميم فحمد الله العلي العظيم»[1]

- كما تصور لنا السيرة شجاعة البطل من خلال مغامراته ورحلاته الصعبة التحقيق، فيعبر البطل رحلاته الشاقة دون تردد فيواجه الصعوبات والأهوال، ويجابه خلالها قوى غيبية منها ما يساعده ومنها ما يعاديه فإذا استطاع العودة منها سالما محققا أهدافه فإنه أثبت شجاعته وقدرته وفاعليته واستحقاقه أن يكون البطل، وتزخر السيرة بالعديد من هذه الرحلات كرحلة الحصول على كتاب تاريخ النيل ورحلة البحث عن زوجته منية النفوس ...

– وإلى جانب القوة الجسدية المتمثلة في الشجاعة، فقد وصف لنا الراوي قواهم المعنوية، فالبطل يتميز بمثاليته التي ترمز عن مبادئه التي يؤمن بها، و المستمدة من عنصره العربي كما يلتزم التزاما شديدا بمبادئ و قيم الجماعة الشعبية العربية، فهو صورة عن مثلها العليا الأخلاقية منها و الاجتماعية ،و تتشكل شخصية البطل غالبا من مجموعة من الصفات الخلقية الممتازة تؤهله للقيام بالأعمال الملقاة على كاهله فنجد أن البطل يتمتع بالفضائل و الشمائل الرفيعة و غالبا ما تلازم هذه الصفات شخصية البطل منذ بداية الحكي حتى نهايته و أولى هذه الصفات المعنوية :

❖ الصبر و العطف :

الصبر هو قدرة المرء على التحمل في ظل الظروف الصعبة و الصمود المستمر على الأشياء المؤلمة نفسيا و تحملها بنفس طيبة دون اظهار الاستياء و الانفعال، و في السيرة نجد أن البطل كان صبورا على مكائد والدته التي كانت تضمر له الغدر فبالرغم من كثرة المصائب التي أحلت به من جرائها غير أنه

[1] السيرة، مج 2، ص 141.

كان يعفو و يصفح و يصبر على إيذائها و من أمثلة صبره و عفوه في السيرة نجد قوله لوالدته بعدما تابت من مكيدتها له "...انكب الملك سيف على أقدامها و صار يقبلها و حزن عليها و قال لها يا أماه لا كانت الدنيا و لا كان هذا اللوح الذي يفرق بيني و بينك "[1]وإلى جانب الصبر فقد كان البطل ذا قلب لا يحمل الحقد فبالرغم مما أصابه من إيذاء من طرف والدته كان عطوفا عليها فعندما قتلت عاقصة قمرية قال لها سيف «شلت يداك يا ملعونة و لكن إن وقعت في يدي جعلتك مثلها يا قطاعة الجان »2 و يصف الراوي حالة البطل بعد موت والدته «... و أما الملك سيف فإنه قعد في غاية الضرر على موت أمه و جمع لحمها بيده و دفنها في قبرها و أقام يبكي عليها مدة من الزمان » 3 .كما يتجلى الصبر عند البطل خلال رحلاته الشاقة ،فالبطل يتعرض خلالها إلى أوقات عصيبة وإن لم يصبر ويعزم على المواصلة فلن يحقق أهدافه.

❖ **الحيلة و الذكاء :**

و هو من أهم الشيم و الأسلحة المعنوية التي يتصف بها البطل، و الذكاء هو حسن الاستفادة من الفرص المتاحة للحصول على الهدف و قد ظهر هذا السلاح لدى البطل في قصته للحصول على القلنسوة السحرية .

حيث يقول الراوي أن الملك سيف ذات يوم و في إحدى رحلاته وجد مجموعة من الفرسان يتشاجرون فقال لهم: « يا أكرم الشجعان إني أراكم مثل بعضكم في الزي و الشان ... ما سبب قتالكم بالسيف و السنان في هذا المكان فقال أحدهم أهلا بك و سهلا أيها الفارس الجليل فإنك في ظني عابر سبيل و لكن أنا أعلمك، إننا كلنا إخوة من أم واحدة و أب واحد و كان أبونا حكيما اسمه الحكيم أفلاطون، و قد خلف لنا ذخيرة عظيمة كل منا يريد أن يأخذها و قتالنا هذا من أجلها فقال الملك سيف : و ما هي الذخيرة التي خلفها أبوكم لكم ؟ فقالوا : هي قلنسوة و كل من لبسها يختفي

[1] السيرة، مج 1، ص 255.
[2] السيرة، مج 1، ص 341.
[3] السيرة، مج 1، ص 341.

عن الجن و الإنس حتى إن الإنسان إذا لبسها فإنه ينظر الجن و الإنس و هم لا ينظرونه فقال الملك سيف : و أين هي القلنسوة ، فقالوا له : هي مع كبيرنا فقال لهم : انزلوا عن خيولكم و أنا أحكم بينكم فإنكم إخوة و أولاد حكيم الزمان و إثارة الفتن عار بين الإخوان فوضعوا القلنسوة بين يديه و كل منهم ناظر إليه فقال لهم : هاتوا إلي قوسا و نشابا حتى أفعل معكم أمرا صوابا، و أفصل بينكم بفصل الخطاب ... فقال أنا أضرب هذا النبل في الهواء و أنتم تتبعونه بالجريان بالحيل و القوى فكل من أتاني بالليل قبل رفيقه كانت له القلنسوة، فقالوا رضينا بذلك، فعند ذلك ضرب الملك سيف النبل فخرج كأنه المنجنيق فتجارى خلفها الستة الأولاد ... فلما ابتعدوا عن الملك سيف وضع القلنسوة على رأسه و اختفى» [1] ولما عاد الإخوة لم ينظرو إلى سيف وهو واقف معهم بفضل القلنسوة السحرية

و بهذا حصل البطل على القلنسوة بفضل ذكائه و حيلته .

❖ الإرادة :

إن الإرادة أساسية في حياة البطل و هي من الصفات التي تجعل البطل يصل إلى ما يتمناه ، فسيف لديه الإرادة القوية في الحصول على أهدافه فبالرغم من الجهود التي تبذلها عاقصة و كل أتباعه مثلا لمنع البطل من الذهاب إلى جزيرة البنات و إلى الكنوز غير أن البطل يصر على ذهابه و يخرج وحيدا و متوكلا على الله و هذه الإرادة هي التي مكنته من تحقيق أهدافه في العديد من المواطن التي اقتحمها كما أكسبته العديد من المناصرين و الأدوات المساعدة .

❖ الوفاء :

يقول الراوي على لسان البطل سيف و هو يخاطب شامة« نحن قوم عرب إذا وعدنا وفينا و إذا قدرنا عفونا و إذا قلنا نعم لا نقول لا و إذا قلنا لا لا نقول نعم »[2]

[1] السيرة، مج 1، ص 98.

[2] السيرة، مج 1 ، ص64 .

و نستخلص من خلال هذه المقولة مجموعة من الثوابت و الصفات إلى جانب الوفاء فالعربي بفطرته يتميز بالصرامة في قوله و عدم التراجع في قراره . كما يتصف بالمقابل بالعفو و التسامح عند المقدرة . ومن مظاهر الوفاء في السيرة وفائه بالوعد الذي وعده للحكيمة عاقلة بالزواج من ابنتها طامة بعد اتمام زواجه من شامة وقد حقق لها الوعد ولم يكن خائنا.

إن كل هذه الصفات والمقومات هي سر التميز العظيم في شخصية البطل،وموضع الاعجاب و التأثير، وبقدر ما يتمتع البطل من امكانيات عقلية و جسمانية ووجدانية وخلقية يكون أكثر تأثيرا و قدرة عن التعبير عن آلام وآمال الشعب.

خـــاتمـــــة

في ختام هذا البحث يمكننا أن نسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال أبرز الإشكاليات و التساؤلات المطروحة :

- السيرة الشعبية هي جنس أدبي قائم بذاته عماده السرد القصصي – شعرا ونثرا – بالغ الطول ، مجهول المؤلف يروي و يؤدي شفهيا و يحكي من منظور جمعي الماضي القومي للشعوب و تاريخ الأبطال و يمتزج فيها الواقع بالخيال .و تؤدي السير الشعبية وظائف تربوية و اجتماعية و سياسية ....وكان سبب إقبال الجماهير على هذه السير للحاجة الملحة إلى الموازنة النفسية بين ماهو كائن وبين ما ينبغي أن يكون ، بين واقع مرير مكدود وبين حلم يلخص النفوس و الأرواح من الظلم و الاستعباد .

والسيرة الشعبية فن مستقل بذاته له بناؤه الفني الخاص به و له أهدافه الفنية و الاجتماعية و السياسية التي استقل بها و تميز عن باقي الأجناس الأدبية الشعبية الأخرى

- تعتبر الشخصية أهم عنصر من مكونات الخطاب السردي فهي الوعاء الحامل لأفكار الكتاب و الوسيلة المعبرة عن أهدافه و مراميه وهي عنصر متحرك يدفع تطورها إلى تطور الأحداث و هي مصدر المتعة للقارئ .
- شخصية البطل سيف بن ذي يزن شخصية تاريخية حقيقية معروفة في كتب التاريخ فهو من أمراء حمير من أسرة عريقة في اليمن و كان اتجاهه سياسي وهو التمسك باستقلال اليمن وانفصاله على السلطان الأجنبي .
- تنقسم دورة حياة البطل في السيرة الشعبية (بحسب اجتهادنا) إلى مراحل :

1- مرحلة نبوءة البطل

2- مرحلة ميلاد البطل و نشأته الاغترابية

3- مرحلة تعرف البطل على نفسه و الحصول على كتاب تاريخ النيل

4- مرحلة الاعتراف القومي

5- مرحلة زواج البطل سيف من شامة (التقاء الشامتين) وتخلص البطل من أمه الشريرة

6- مرحلة الجهاد الديني

7- مرحلة موت البطل

* و كل مرحلة من هذه المراحل تعبر عن لحظة زمنية متميزة في حياة البطل و كل مرحلة تمثل خطوة نحو الأمام لتحقيق الهدف

- البطل الشعبي شخصية رئيسية في السيرة الشعبية و هو في معظم الأحيان يستند إلى بطل تاريخي عاش فعلا في الواقع، إلا أنه يختلف عنه كثيرا فالبطل الشعبي يخضع للضرورة الفنية فهو قادر على اجتياز العقبات التي تعترض سبيل الجماعة و لا تجد خلاصا منها لأنها تحتاج إلى أمر معجز فوق قدرات الإنسان العادي و طاقاته ومن هنا كانت قدرات البطل خيالية يختلط فيها الواقع بغير الواقع والتاريخي بالكوني و المحدود بغير المحدود. ويتجلى البطل في السيرة الشعبية حاملا لواء التوحيد القومي و الديني و هو مطالب بتغيير سلبيات الحياة فهو رمز أبدعته الجماعة الشعبية ليحقق أمالها و رغباتها و أحلامها
- تتجلى مقومات البطل في السيرة الشعبية من خلال :
  - الميلاد غير المرغوب فيه
  - تميز البطل عن غيره في ظروف الميلاد
  - اليتم
  - غربة البطل
  - نسب البطل (التأصيل)
  - الحسن و الجمال ووجود علامات خاصة
  - الاسم
  - الدين

- يتصف البطل الشعبي بمجموعة من الصفات تؤهله ليكون ممثلا للجماعة لقيمها الدينية و الدنيوية و من هذه الصفات نجد:

- الشجاعة المتمثلة في القوة الجسدية أما الصفات المعنوية فتجسدت في قيم الصبر والعطف والحيلة و الذكاء والوفاء و الإرادة

في الأخير إن الشعوب العربية الحية حريصة على تخليد مراحل من حياتها ، تصوغها سيرا شعبية تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل و يرويها الكبار للصغار لتبقى كالوشم في الذاكرة و تختلف هذه السير في أحداثها و صورها من أمة إلى أمة و لكنها تتفق في أمر واحد و هو تصوير البطولة و تمجيدها فالبطولة قيمة إنسانية تهفوا إليها النفس البشرية على مر العصور .

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن ، ط1 ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1985.**

- **الكتب المنشورة:**

1. ابراهيم صحراوي ، السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات ،ط1 ،الدار العربية ،2008.
2. ابن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج2 ،ط3 ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،لبنان ،1980.
3. ابن منظور ،لسان العرب ،مج11 ،مادة (بطل) ،دار صادر ،بيروت ،د ت.
4. ابن منظور لسان العرب ،ج8 ،مادة (شخص) ،دط ،وزارة الشؤون الدينية المملكة العربية السعودية، د ت .
5. أبو الفداء حافظ ابن كثير ،البداية والنهاية ،ج1 ،ط6 ،منشورات مكتبة المعارف ،بيروت، 1985.
6. ابو النصر اسماعيل الجوهري ،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،دط ،دار الحديث ،القاهرة ،2009.
7. أحمد مختار عمر ،معجم اللغة العربية المعاصرة ،مج 1 ،ط1 ،عالم الكتب ،القاهرة ،2008.
8. أمينة فزاري ،سيميائية الشخصية في تفريبة بني هلال ،دط ،دار الكتاب الحديث ،الجزائر ،2012.
9. بان البنا ،الفواعل السردية "دراسة في الرواية الاسلامية المعاصرة" ،ط1 ،عالم الكتاب الحديث ،الأردن ،2009 .
10. تزفطان تودوروف ،تر: علد الرحمان مزيان مفاهيم سردية ،ط1 ،دار الاختلاف ،الجزائر ،2005.
11. جبران مسعود ،الرائد (معجم لغوي عصري) ،ط7 ،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان،1992 .

12. جوزيف كورتيس ،مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية ،تر: جمال حضري ،ط1 ،الدار العربية للعلوم ،الجزائر ،2007.

13. جويدة حماش ،بناء الشخصية في حكاية عبدو و الجماجم والجبل لمصطفى فاسي ،مقاربة في السرديات ،دط ،منشورات الأوراس ،الجزائر ،2007.

14. حسين سالم ،في التراث الشعبي اليمني ،ط1 ،مركز الدراسات والبحوث اليمني ،صنعاء ،1993.

15. حسين مجيب المصري ،الأسطورة بين العرب والفرس والترك ،دراسة مقارنة ،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،1991.

16. حلمي بدير ،أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ،دار الوفاء ،الاسكندرية ،2002.

17. حميد لحمداني ،بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،ط1 ،مركز الثقافة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1991.

18. حميد لحميداني ،بنية النص السردي ،ط1 ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،1991.

19. خزعل الماجدي ،متون سومر (التاريخ ،الميثيولوجيا ،اللاهوت ،الطقوس) ،ط1 ،الأهلية للنشر والتوزيع ،الأردن ،1998.

20. خطري عرابي ،البناء الأسطوري للسيرة الشعبية سيرة سيف بن ذي يزن أنموذجا ،ط1 ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ،الجيزة ،2009.

21. رئيف حوري، البطولة في أدب الاطفال، مجلة الآداب، المؤتمر الرابع للأدباء العرب، الكويت، العدد1، 1958.

22. سامية حسن الساعاتي ،الثقافة والشخصية (بحث في علم الاجتماع الثقافي) ،ط2 ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1983.

23. السعيد بوطاجين ،الاشتغال العاملي ،دراسة سيميائية ،ط1 ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ،2000.

24. سعيد يقطين ،قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) ،ط1 ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،1997.

25. السيد إمام ،مدخل إلى نظرية الحكي ،ط1 ،مؤتمر أدباء مصر ،الدورة الثالثة والعشرون ،الأمل للطباعة والنشر ،القاهرة ،2008.

26. شريبط أحمد شريبط ،تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947-1985 ،دط ،دراسة اتحاد كتاب العرب ،1988.

27. شوقي ضيف ،البطولة في الشعر العربي ،دط ، دار المعارف ،مصر ،1970.

28. شوقي عبد الحكيم ،السير والملاحم الشعبية العربية،ط1، دار الحداثة، بيروت ،لبنان ،1984.

29. شوقي عبد الحكيم ،موسوعة الفولكور والأساطير العربية ،ط1 ،دار الحداثة ،بيروت ،لبنان.

30. ضياء الكعبي ،السرد العربي القديم الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل ،ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،2005.

31. عبد التواب يوسف ،الطفل العربي والأدب الشعبي ،ط1 ،الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ،1992.

32. عبد الحميد بورايو ،الأدب الشعبي الجزائري دراسة لأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر ،دط ،دار القصبة ،الجزائر ،2007.

33. عبد الحميد بورايو ،البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري ،دراسات حول خطاب المرويات الشفوية ،(الأداء ،الشكل ،الدلالة) ،دط ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1998.

34. عبد الحميد بورايو ،القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية) ،دط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986.

35. عبد الحميد بورايو ،المسار السردي وتنظيم المحتوى ،دار السبيل ،الجزائر ،2008.

36. عبد الحميد بوسماحة ،رحلة بني هلال الى الغرب – مكونات البنية الفنية ،ج2 ،دط ، دار السبيل ،الجزائر ،2008.

37. عبد الحميد يونس ،الحكاية الشعبية ،دط ،دار الكتاب العربي ،دت.

38. عبد الله ابراهيم ،السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي) ،ط2 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،2000.

39. عبد الله خمار،تقنيات الدراسة في الرواية (1) الشخصية ،دار الكتاب العربي ،الجزائر ،1999.

40. عبد المالك مرتاض ،الميثولوجيا عند العرب ،دط ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1986.

41. عبد المنعم الميلادي ،الشخصية وسماتها ،دط ،مؤسسة شباب جامعة الاسكندرية ،دت.

42. علي معطي ،تاريخ العرب السياسي قبل الاسلام ،ط1 ،دار المنهل اللبناني ،بيروت ،2004.

43. فاروق خورشيد ، الموروث الشعبي ،ط1 ،دار الشروق ،القاهرة ،1992.

44. فاروق خورشيد ،أدب السيرة الشعبية،د ط، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،2002.

45. فاروق خورشيد ،أصنواء على السيرة الشعبية ،دط ،مطابع إقرأ ،بيروت ،لبنان ،دت.

46. فاروق خورشيد ،محمود ذهني ،فن كتابة السيرة الشعبية ،دراسة فنية نقدية للسيرة الشعبية ،عنتر بن شداد ،ط2 ،منشورات إقرأ ،1980.

47. الفيروز الأبادي ،القاموس المحيط ،تح محمد نعيم العرقسوسي ،ط8 ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،لبنان ،2005.

48. فيصل الأحمر ،معجم السيميائيات ،ط1 ،منشورات الإختلاف ،الجزائر ،2010.

49. قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية ،الأسطورة توثيق حضاري ،ط1 ،دار كيوان ،دمشق ،2009.

50. مجدي وهبه ،كامل المهندس ،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،ط2 ،مكتبة لبنان ،بيروت ،1984.

51. مجمع اللغة العربة ،المعجم الوسيط،دط ،دار المعارف ،مصر ،1972.

52. مجموعة من المؤلفين ،إشراف محمد القاضي ،معجم السرديات، ط1، دار محمد علي، تونس، 2010.

53. محمد أبو الفتوح العفيفي ،البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية ،عنترة بن شداد أنموذجا ،ط1 ،ايتراك للطباعة والنشر ،القاهرة ،2001.

54. محمد بوزواوي ، معجم مصطلحات الأدب ، دط ،الدار الوطنية للكتاب ،الجزائر ،2009.

55. محمد رجب النجار ،الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي ،دط ،الهيئة المصرية القامة للكتاب ،القاهرة ،2006.

56. محمد رياض ،توظيف التراث في الرواية العربية ،د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2002.

57. محمد عزام ،شعرية الخطاب السردي ،دط ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2005.

58. محمد نيمي هلال ،النقد الأدبي الحديث ،دط ،دار الثقافة ،بيروت ،لبنان ،1973.

59. محمود ذهني ،الأدب الشعبي العربي (مفهومه ومضمونه) ،مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم ،1972.

60. مرسي الصباغ ،القصص الشعبي ،العربي في كتب التراث ،دط ،دار الوفاء ،الاسكندرية ،دت.

61. مفقوده صالح ،المرأة في الرواية الجزائرية ،ط2 ،وزارة الثقافة ،الجزائر ،2008.

62. نادية بوشفرة ،مباحث في السيميائيات السردية ،دط ،الأمل للطباعة والنشر ،الجزائر ،2008.

63. نبيلة ابراهيم ،البطولات العربية والذاكرة التاريخية ،ط1 ،المكتبة الأكاديمية ،القاهرة ،1995.

64. نبيلة ابراهيم ،الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، د ط ،دار المريخ ،1985.

65. نبيلة ابراهيم ،قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ،دط ،دار قباء ،مصر.

66. نخبة من الأساتذة والمثقفين ،الموسوعة العربية العالمية ،ج14 ،ط2 ،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ،الرياض ،المملكة العربية السعودية ،1999.

67. وهب ابن المنبه ،كتاب التيجان في ملوك حمير ،ط1 ،مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ،الجمهورية العربية اليمنية ،صنعاء ،1347هـ.

68. يوسف محمد عبد الله ،أوراق في تاريخ اليمن وأثاره بحوث ومقالات ،دط ،دار الفكر المعاصر ،بيروت ،لبنان، 1990 .

الفهرس

الإهداء
شكر وامتنان
مقدمة .....أ

الفصل الأول :

في المباني والمفاهيم الدلالية للشخصية والبطل والسيرة الشعبية

المبحث الأول :الشخصية مفهومها وأهميتها..... 8
أولا : الشخصية في اللغة والاصطلاح : 8
ثانيا : الشخصية عند علماء الاجتماع وعلماء النفس والأدب : 9
ثالثا: الشخصية الحكائية في السيميائيات السردية :..... 11
المبحث الثاني : ماهية البطل الشعبي :..... 14
أولا : البطل في اللغة والاصطلاح : 14
ثانيا: صفات البطل الشعبي : 18
ثالثا: أبعاد و مقومات شخصية البطل:..... 20
1- أبعاد شخصية البطل: 20
2- مقومات شخصية البطل:..... 21
المبحث الثالث: السيرة الشعبية المصطلح والمفهوم 23
أولا: السيرة لغة واصطلاحا :..... 23
ثانيا : علاقة السيرة الشعبية بالأجناس الأدبية الشعبية الأخرى: 26
1- علاقة السيرة الشعبية بالملحمة: 26
2- علاقة السيرة الشعبية بالأسطورة: 28
3- علاقة السيرة الشعبية بالقصص الشعبي:..... 31

4- علاقة السيرة الشعبية بالرواية:..... 32
ثالثا : تشكل السير الشعبية والدوافع الكامنة وراء انتشارها وتداولها: 34
رابعا :ملامح عامة حول السيرة الشعبية: 37

الفصل الثاني :

شخصية البطل سيف بن ذي يزن في السيرة الشعبية

تمهيد: 43
المبحث الأول : دورة حياة البطل في السيرة الشعبية..... 45
أولا : شخصية البطل سيف بن ذي يزن بين الواقع التاريخي والعمل الفني 45
ثانيا : مراحل حياة البطل سيف بن ذي يزن في السيرة الشعبية :..... 55
1- مرحلة ما قبل ميلاد البطل:..... 55
2- مرحلة ميلاد البطل ونشأته الإغترابية: 61
3- مرحلة تعرف البطل على نفسه والحصول على كتاب تاريخ النيل:..... 65
4- مرحلة الاعتراف القومي: 67
5- مرحلة زواج البطل سيف من شامة (التقاء الشامتين) وتخلص البطل من أمه الشريرة: 69
6- مرحلة الجهاد الديني : 73
7- مرحلة موت البطل (نهاية السيرة) : 73
المبحث الثاني : دراسة مرحلة حصول البطل على كتاب تاريخ النيل دراسة سيميائية : 75
أولا : مكونات الوحدة الحكائية " مرحلة الحصول على كتاب تاريخ النيل " من خلال الاعتماد على
وظائف بروب : 75
ثانيا: البناء العاملي لمرحلة حصول البطل على كتاب تاريخ النيل في السيرة الشعبية :..... 78
1- النموذج العاملي "le modèle Actantiel" : 78

2- المربع السيميائي : 82
المبحث الثالث: مقومات وصفات البطل سيف بن ذي يزن في السيرة الشعبية..... 90
أولا: مقومات البطل الشعبي قي السيرة الشعبية 90
ثانيا: صفات البطل الشعبي : 95
الخاتمة..... 100
الملاحق.....104
قائمة المصادر والمراجع 135
الفهرس.....142